عرفه عبده على

«القاهرة بالفرشاة الأوروبية»

صور ومشاهد
من الحياة الاجتماعية

«كم شيدنا منذ صبانا مـدنا من تصميم خيالنا، كنا نتـمنى لو شـاهدناها فى الواقع، غـيـر أن حظنا لم يمنحنا أن نسـكنهـا إلا فى أحـلامنا٠٠ وكـانت لنا قاهرتنـا التى نسجناها من عناصـر ألف ليلة وليلة، المتناثرة حـول مـيـدان الأزبـكيـة الذى صـوره لنا ماريلا٠٠ أننى مدين له برؤياى عن الشرق٠٠٠»

« تيوفيل جوتيي»

[illegible]ن الشرق يبدأ من القاهرة» ·· هذه الكلمة الشهيرة التى قالها الأديب الرحالة الفرنسى«جوستاف فلوبير» ·· يوم كان للقاهرة غموض السحر الذى اجتذب الرحالة والأدباء والفنانين الأوروبيين، فى رحيلهم اليومى المغامر، فحركت فى نفوسهم الحنين المضطرم إلى عبق الصحارى وصخب الزحام وواجهات الحوانيت ودفء الحياة وروائح التوابل والثياب المزركشة وآثار الماضى العريق وأساطير ألف ليلة وليلة، ليرسموا لنا مشاهد تنبض بالحياة، متباينة الألوان والضلال لمجتمع القاهرة فى زمانها الجميل··

وكانت جولانى بين كتب الرحالة وإبداعات الفنانين الأوروبيين – فى مكتبات المعاهد الأجنبية ومكتبة القاهرة الكبرى – قد أوحت لى بفكرة هذا الكتاب، الذى يتضمن روائع مدارس مختلفة من الفن الإستشراقى الأوروبى، والتى لم يسبق نشرها فى المكتبة العربية، وإنطباعات هؤلاء الفنانين عن«قاهرة الشرق» ·· وصور ثبتت لحظات زمنية من تاريخ القاهرة وتراثها، شوارع وأسواق وبيوت ومقاهى وحريم، وقباب ومآذن تشهد بروعة فنون العمارة الإسلامية، ومشاهد من الحياة اليومية أذهلت هؤلاء الفنانين بتنوع وثراء موضوعاتها·· باقة يتضوع شذاها بعطر الماضى الجميل·· أضعها بين يدى محبى الفن وهواة التاريخ وعشاق القاهرة !

عرفه عبده على

تقديم :

استبقت المعرفه الشرقية – صورة الواقع الشرقي – فى أذهان الرحالة والفنانين الإوروبيين، فكان نزوعهم نحو الشرق– ملتقى الحضارات القديمة – هو نزوع معرفى مرادف للإبداع والإلهام، بحثا عن«النموذج» الذى ارتسم فى مخيلتهم وادراكهم وعن:«الرائع» و«الجميل»٠٠و«الرومانسى»٠٠٠٠وحتى منتصف القرن التاسع عشر، كانت قد تشكلت منظومة فكرية – فنية متكاملة من روائع الأدب وفن التصوير، أسهمت فى اكتشاف عالم الشرق ومميزاته الجمالية٠

ـ كان الشرق هو عالم« الأحلام»٠٠٠ الذى يتوافق أو يندمج فى عالم الواقع، فسعى هؤلاء الرحاله والفنانين – عن طريق التجاوب فى المشاعر– إلى التوغل فى جوهر الحضارة الشرقية٠*

ومما لاشك فيه أن ابداعات الرحاله ومشاهدات الحجيج وتقارير الباحثين والارساليات والقناصل والخبراء وضغوط المصالح السياسية – خاصة فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر – قد أسهمت فى إزدياد كثافة الوعى العام بالشرق٠٠٠

ـ ومنذ سنوات بعيدة، والغرب يتطلع إلى اكتشاف:«الآخر»٠٠ والوقوف على أسرار الحضارات «الأجنبية» الغامضة٠٠ تطور إلى رغبة فى إتصال مباشر وفيزيقى مع: الغريب والعجيب والمثير جدا٠

وقد فتح«هيرودوت»الطريق، عندما لفت أنظار اليونان إلى عالم غير يونانى عالم جسد له فكرة «الاغتراب» ومثل له أيضا: مدرسة للحكمة٠

وسجل علماء وفنانو حملة نابوليون كل مشاهداتهم فى مصر، فى الموسوعة الخالدة«وصف مصر» موثقة بلوحات الفنانين المبدعين، فى حصاد رائع للحملة الفرنسية، فى جانبها الحضارى الإنسانى

---

* د٠ زينات البيطار: الاستشراق فى الفن الرومانسى الفرنسى، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٢٠ص ٢٢٩٠

فى عـام ١٨٤٢، تحـدث «ادجار كـينيـه» – « Edgar Quinet» عن «نهـضة شرقـية» حـامله لـ «إنسانيـةجديدة»٠٠ جديرة بأن تثرى الميـراث اليونانى – الرومانى٠٠٠ تطلب الأمـر–إذن– إعادة النظر فى«المعرفة الغربية للشرق»٠

فالانجـذاب إلى الشرق تعدى مرحلة الـدهشة والإنبهار بالأشـياء الغريبـة، والحلم الرومانسى الذى أسهم فى تدعيم أسطورة – الشرق الأبدى – واختلاط الماضي بالحاضر فى خيالات القراء والرحاله الأوروبيين، تبـدل إلى محـاولة اكتشـاف جديد للـشرق القديم: أصـل التاريخ والإنسـانية، ومـهبط الديانات، ومحـتوى أسرارالحضـارات القديمة، وانطلقت الرغبـة فى معرفـة أدق عن الآخرين، ترقب وترصد– التقـاليد والعقائد الإسـلامية التى شكلت الشـرق الحديث – ومع التوسع فى الاكتـشافات الأثرية وفك طلاسم الكتابات القديمة وقراءة نصوصـهـا إزداد الأمل فى اكتشاف فلسفى جديد٠٠ قد يسهم فى إعادة صـياغة الحياة وأشكالها المادية فـالشرق يمثل دائما– فكرة الاستقـرار– أمام العالم الأوروبى المتغير٠٠!

خلال القرن التاسع عـشر، أصبح الشرق: أعظم ملهم للفنانين، بما يعرضه من مـوضوعات جذابة٠٠ وتفسير خاص لظاهرة الضوء، ولذلك كـان«تيوفيل جوتييه» TH. Gauthier» يحث الفنـانين على الرحـيل إلى الشرق ، الذى أصـبح«ضروريا مـثل الحج إلى إيطاليـا» لمشاهدة الشـمس٠٠ والحيـاة الفطرية٠٠ والمشاهد العجيبه٠٠ والألوان الحيه٠٠ والمفارقات المدهشة٠

فى عام ١٨٥٨، كتب الفنان الألمانى الشهيـر«كارل هاج» إلى أصدقائه من الفنانين والرحاله والأدباء الأوروبيين« إن هؤلاء الذين يبحثون عن مادة مثيرة يستلهمونها فى ابداعاتهم عليهم أن يتوجهوا إلى القاهرة – هى قاهرة واحدة فى العالم كله – تتـألق فى وقار وجلال على ضفاف النيل العظيم، وبين روابيهـا الخضراء وتلالهـا الذهبيـة وآثار الفراعنة، وتراثها الإسـلامى العريق، مـازال ماثلا فى كل مظاهر الحيـاة فيهـا، وتتجلى عـبقرية المكان والزمـان والالهامات المبـدعة، ولا شك أن خـيال الفنان سيصيغ من هذا الواقع روائع شرقية خالدة»٠*

وتبدلت الرؤيـة الاستشـراقية – خـاصة مـابعد عام ١٨٦٠– بينـما فقـد الحلم الرومانسى سـحره وجاذبيـته،ومع تطور الأبحـاث الخاصة بـالضوء وإختـرع آلة التصـوير، تنامى التيـار الواقعى فى

---

*Gerald M. Ackermam : les orientalis de L'ecole Britanniaque, Paris,1990 P139.

النصف الثانى من القرن التاسع عشر، مما أدى إلى التـجديد فى الرؤية والتعبير عن الشرق بالرسم والتصوير الفوتوغرافى، ووضـحت الرغبة فى فهم وتحديد- مشهد ما - على حقـيقته، دون تجميل أو تزييف٠٠ وإهتم الفنانون بتقديم مشاهد حقيقية بتفصيلات وتركيبات محددة، أمينة وصادقة ٠
ولم تسـتمر الصـورة المبهـرة للشرق، إلا لتـغذية مـشاهد أدبيـة خصبـة، تركت آثارها فى كـتابات «بيـيـرلوتى-Pierre Loti» وفى الوقت ذاته، كان بعض الفنانين يحـاول أن يبتكر مشاهد جـمالية، تحفظ للشرق سحره وفتنته، ولو بإستخدام ديكورات عجيبة !
ومع بداية النصف الثـانى من القرن التـاسع عشر، تغـلب التيار الواقـعى للتصـوير الاستـشراقى، وتبدلت المفاهيم والمعانى، فكان للتيار الرومانسى سمة بارزة تتلخص فى معنى محدد:
«كل الخيال - Toute d'imagination» فأعقبه عصر:
«كل الملاحظة Toute d'observation» أو الرصد، ومالبث التصوير
الاستشراقى أن تحول إلى «تحقيق عن الشرق- Enquete sur l' orient» *٠

انتشار الفن الاستشراقى:

منذعام ١٨٧٠، لم يعد الفن الاستشراقى قاصرا على الفـرنسيين والبريطانيين فحسب، فعقب الحرب ضد بروسيا، اسـتقبلت باريس عددا كبيرا من الفنانيين الأوربيـين والأمريكان٠٠ والبعض منهم كان قد حقق شيئا من الشهرة فى بلاده٠
وأكثـر هؤلاء قد سجلوا أنفـسهم فى «مدرسـة الفنون الجمـيلة بباريس-L'Ecole des beaux arts» لدى الرحاله والفنان العظيم:« جان ليون جيروم-Jean Leon Gerome»
لقد اجـتدبتهم باريس ، أكـثر من مدرسة الأكـاديمية الملكية بلندن، التى كـانت تفتقـد مراسم يديرها أستاذ ذائع الصيت، كـما هو الحال فى فرنسا، أضف إلى ذلك ، عدم وجـود نظام للمكافآت وضعف إحتـمالات الإنطلاق إلى آفـاق الشهـرة، خاصـة للطلبه الموهوبين٠ وفى واقـع الأمر، لم تكن شـهرة الفنانين البريطانيين، تتجاوز الأوساط الفنية الأوربية،بالرغـــم من مـشاركتهم فى معارض عالمية

* د٠ ادوارد سعيد : الاستشراق ، مؤسسة الأبحاث العربية،بيروت، ١٩٨٠،ص٧١

فى باريس، فـى السنوات: ١٨٥٥، ١٨٦٧، ١٨٨٩، ١٩٠٠ وربما يرد ذلك إلى إحســـاس مفـــرط بالإقليمية أو لأنهم وجدوا أن الأستاذية الفرنسية جديرة بالتقدير٠٠ لكن تنقصها الحرارة٠٠! *

ولم يكن كل المســتشرقين قـد تأسسوا فى باريـس أو لندن، فالنمســاوى:«ليوبولد كـارل مولر- L. carl muller والأسبانى:ماريانـو فورتونى مارسال-Mariano F. Marsal» كـان الداعى الأول فى إيطاليا، للأهمية المتجددة للشرق٠

وفنانون من سويســرا وألمانيا وبلجيكا والدول الاسكندنافيـة، توجهوا إلى الشرق- مصـر خاصة - وكانوا يعرضون أعمالهم فى بلادهم٠

والخلفية التوراتيــة وصلتها العميقة بالشــرق، كانت واضحة فى أعمال الفنانين الفـيكتوريين، أمثال: «دافيد ويلكى-David Wilkie» و«هولمان هنت - H. Hunt» و«فردريك جودول- F, Goodall » كمـا تجلت أيضا فى أعـمال الفـرنسيين:«جـيمس تيـسو- J. Tissot» و« هوراس فـــيرنيـــه- H.Vernet»٠

فكانوا يرتحلون بحثـا عن« الديكورا ت الحقيقـية» للموضوعـات الدينية خاصة، مع قناعـة تامة بأن تصوير تلك المواقف والمشاهد، هى بمثابة بعث للأزمنة الغابرة٠

وتجددت النوازع الروحية فى - إنجلترا الفيكتـورية - بتأثير نجاح المناظر التوراتية التى أبدعت فى ديكورات فرعونية٠٠

وكانت الموضـــوعات التاريخـية فى أعمــال:ادوارد بوينتر- Ed. Poynter» و« ســيـــرلورانس الما- تيدما-Sir L. Alma - Tadema» و «ادوين لونج-Edwin Long» تكاد تشبه الانجازت الأولى لهوليوود٠٠٠!

وعندما أصبح الفن الاستشراقى«موضة العصر»٠٠ حظى أيضا بإهتمام فنانين لم يذهبوا إطلاقا إلى الشرق وكان أشهرهم الكلاسـيكى: جان أوجست دومينيك انجر- J, A. Dominique Ingres» فـى عام ١٨١٤ كان قد أبدع لوحته «المحظيه»- (Musee du louvre, Paris) وفى عام ١٨٣٩، أنجز لوحته الشهيرة:«الجارية والعبد»(Fogg museum of Art, Cambridge» ثم فى عام ١٨٦٢، أبدع لوحته الأشهر« الحمام التركى»٠٠(Musee du Louvre, Paris)٠

---

*Hautecoeur L: La Litterature et Peintres en France de xvii au xix Siecle ,Paris, 1963, P86.

وقد أدت حرب القرم ١٨٥٤-١٨٥٥، وإفتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩ إلى وضع منطقة الشرق الأوسط - من جديد على رأس الأحداث، فقد أرسل عدد من الفنانين لتسجيل تلك الأحداث، وكثير من بينهم، أهتموا بتسجيل مشاهد من الحياة اليومية فى الشرق٠ *

وبينما تزايدات الأفواج السياحية، بإشراف شركة «توماس كوك»٠٠ مزودين بآلات التصوير الفوتوغرافى، نجد أن أساليب الحياة والأزياء الأوربية،قد تسللت إلى الأوساط الحكومية فى القاهرة وتركيا، وسيدات المجتمع قد هجرن ملابسهن التقليدية، ليرتدين« الكرينول- Crinoline» من بيت أزياء «وورث» والفنانون أنفسهم يحاولون الإبتعاد عن كل المظاهر الأوروبية !

وقد اشتملت روائع الفنانين الأوربيين فى أكثرها على« المآذن الباسقة البيضاء، التى تسبغ الأتزان على التكوين الفنى، خاصة فى أعمال: كرابلية، ووالتر تيندال، باسكال كوست، روبرتس، ماريلا، توماس ألوم، ادوارد ليز، وسجل جان ليون جيروم مشهدا للمؤذن ينادى للصلاة بينما تتراءى مآذن القاهرة المملوكية، تمتد رشيقة فى أفق تغشاه حمرة الغسق، وتتجلى براعة المصورين البريطانيين: دافيد روبرتس وجون فردريك لويس- بوجه خاص- فى تصوير روائع العمارة الإسلامية فى إطار من مسحة رومانسية٠ !٠٠

أما رائد التصوير البريطانى« وليام بارتليت» الذى قام بخمس رحلات إلى الشرق، فقد كانت فلسطين - الأرض المقدسة- محور إهتمامه لشغفه بالشخصيات والمواقع التى وردت فى الكتاب المقدس٠

كما إتجه معظمهم إلى تسجيل المشاهد الأكثر حيوية وتألقا: حرس نوبى بهيئته المهيبة، الصيد بالصقور، الجياد الكريمة والصحراء، نساء يرتدين أفخم الثياب، يستلقين فى استرخاء فى معاقلهن، وأسواق صاخبة زاخرة بالناس٠٠ وانطباعات سحرية لاتنسى عن الحياة الشرقية!٠

*Carre J.M: voyageurs et ecrivains en Egypte, IFAO, le caire.1932,vol: 1,P26

الفن هنا.. يهيم فى الشوارع

أوجست ديلاكرو

لقد شكلت «القـاهرة»زاوية الدفء والحلم الجميل فى ذاكرة الكثـيرين، فكانت رحلة واحدة - كـافية للبعض منهم- ليختزن تصورات ثرية عن «قاهرة الشـرق» ٠٠ عن الطبيعة الساحرة وفنون العمارة المبتكرة وصخب الحـياة وتنوع الألوان، وكنوز الماضى التى شكلت طوقا بديعـا من الحضارات التى تألقت على صدر التاريخ٠

كانت القـاهرة فى القرن التـاسع عشـر، فردوسـا لفنانى أوربا، الذين خلفوا لنا ثروة من إبـداعاتهم الفنية الخالدة، تبعث قاهرة الشرق حية فى خـيالنا، بالرغم من موجة التحديث التى نالت من طابعها المميز فى ذلك العـصر، إلا أنها ظلت قادرة - بسحرها الخـاص- على أن تخلب ألباب هؤلاء الفنانين، فتباروا في تسـجيل مشاهداتهم لواقع القاهرة، آثارها، أسواقهـا، شوارعها، صخب الحياة الشـعبية، بعيدا عن تداعيات العالم السحرى الغامض لقصص ألف ليلة وليلة !

ويذكر بالفضل٠٠ أسرة محمد على باشا- مـؤسس مصر الحديثة- الذى أراد أن«يترجم» الحضـارة الأوربية، فاستـقدم وخلفاؤه أشهر الفنانين الأوروبيين لتزيين سراياتهم الملكيـة، فشكل هؤلاء حركة فنية أوروبية مستحدثة يميزها طابع رومانسى يستلهم ابداعاته من تفاصيل حياتنا اليومية٠

فى القاهرة، عاش هؤلاء الرحاله والفنانون، حاضر مصر وماضيها القريب، قبل أن يوغلوا فى أعماق تاريخهـا القديم، فـسجلت أقلامـهم انطباعاتـهم فى حس مرهف ٠٠٠٠٠ وعانقت فـرشاتهم مـعالم القاهرة وحاورت تفاصيل حياة المصريين المعاصرين، فى بهجة تجذب القلوب وتأسر الألباب٠

وكـثـير مـن الأدباء والفنانين الذين رحلوا إلى مـصـر، كـانوا مـزودين بقـراءاتهم عنهـا فى الآداب الكلاسيكيـة والمعاصرة ودراسـات الاستشراق الاكـاديمى، إلا أن الناحية الجمـالية البحـتة هى التى استأثرت باهتماماتهم، إجتذبهم سحر حياة الشرق فى القاهرة، فعايشوها واندمجوا فيها، حريصون أن يلزموا أنـفسهم مـاتوحى به مشـاعرهم وأحلامـهم، فلم يحفلوا بـلغة الاستـشراق المعـهودة عن سيطرة الغـرب على الشرق، ولم يبـالوا بأن يكون انتاجـهم وإبداعهم يتفق وتوجـيهـات حكوماتهم

الاستعمارية !

ومع بداية العصر الڤيكتورى، اجتذبت فنون العمارة الإسلامية، وصخب الحياة اليومية لأهل القاهرة – بأدق تفاصيلها – الكثير من الفنانين الأوربيين، ومنهم من أقام بها لعدة شهور، ومنهم من راقت له الحياة، فامتدت إقامته لعدة سنوات !

من بين هؤلاء: جون فردريك لويس، دافيد روبرتس، هنرى والسن، كارل مولر، جون ڤارلى، لودفيج دويتش، ماريلا، جيروم، ماكوفسكى···

الفنان «لويس – John Frederiek Lewis» أبرع وأشهر المستشرقين البريطانيين، عاش بالقاهرة من عام ١٨٤٢ إلى عام ١٨٥١، يحيا حياة «أكلوا اللوتس»·· كما أشار صديقه «ثاكراى– Thackeray» معرضا بقصيدة«كوليردج» التى تصف هؤلاء الذين يجدون النسيان فى أكل بذور زهرة اللوتس !

بدأ لويس حياته: رساما بالألوان المائية، وقد حقق نجاحا باهرا فى صالون:«جمعية الألوان المائية »فى عام ١٨٥٠ بلوحته الشهيرة«الحريم»··

وقد تميزت لوحات لويس بالدقة المتناهية، وثراء ووضوح التفاصيل والتجديد فى إختيار موضوعاته، بعيدا عن «الاستعراضات الرومانسية»أو·· الكليشيهات التقليدية عن الشرق: كأسواق العبيد، والآثار، والحريم·· فقد كان ينظر بعين واقعية إلى كل مايحيط به من مشاهد لحياة القاهرة، مبتكرا« لوحات هادئة» مستلهمة من صميم الحياة اليومية محافظا على تقاليد العصر الإيقونية، حتي وهو يبدع مشهدا شرقيا شعبيا، مثل كاتب الرسائل فى السوق·

بالإضافة إلى ذلك، عندما كان يرسم المنازل وقصور الشرق الفاخرة، فقد كان يهدف بالأساس إلى التعريف بثقافة عريقة، كانت فى مفهوم الغرب – حتى ذلك الحين – ثقافة بربرية ! *

ومن الأهمية أن نعرض لبعض انطباعات هذا الفنان العظيم، التى دونها فى مذكراته، ومشاهد اثارت خياله فى شوارع القاهرة، فيصف: بعض النساء المصريات اللائى تحجبن تماما، ماعدا وجوههن الرقيقة و«سيدات تركيات قد ارتدين عباءاتهن السوداء، يسارع فى خدمتهن عبيد فى ملابس ملونة بألوان قوس قزح »!··

*Thornton L.: les orientalistes, Peintres voyageurs 1828-1908, Paris,1983,P.138

ويصف« سوق العبيد» فيقول:« ·· أحد الأماكن التى افضلها، مع أننى لم أكن رسام أشخاص– كان السوق قائما فى فناء مفتوح، محاطا بالاروقة على الطريقة الرومانية، والعبيد معروضين للبيع فى وسط هذا الفناء، وكان عددهم نحو الأربعين معظمهم من الشباب، وبعضهم أطفال، كان مشهدا مثيرا·· بالرغم من أننى لم أكن شاهدا عليه·· كما كنت أتخيله دائما مشهدا يبعث على الاسى والحزن·· والجوارى الجميلات، يلزمن غرفة أعلى الفناء: بصفة عامة كن قوقازيات وحبشيات··
وعندما يتقدم أحد المشترين، أرى التاجر يرفع رداء سميكا من الصوف يغطى أجسادهن، ليعرضهن على من يبغى الشراء··!

بعض هؤلاء الفتيات، كن يتمتعن بقدر فائق من الجمال، قوام ممشوق وصدور ناهدة، وقسمات دقيقة، وعيون رائعة تنطق بمكنون مشاعرهن!·· وتلك الأوقات التى قضيتها فى القاهرة، هى أحلى ماعشت من عمرى فهذه التجمعات، والمشاهد الغريبة والأزياء والعادات العجيبة، لايمكنها أن تخاطب إلا·· «الفنان» !

أما الفنان«دافيد روبرتس» فقد أبدع ستة ألبومات رائعة للآثار الإسلامية فى كل ربوع الشرق، وقد سمح له بالرسم داخل المساجد، بعد التأكد من أن فرش الرسم الخاصة به ليست من شعر الخنزير !
فى عام ١٨٣٨، صعد روبرتس فى النيل حتي أثيوبيا، ثم جاس بصحراء سينا وفلسطين، وبعلبك ، وهو يتحلى بزى عربى·· فالفنانون الإنجليز لم يستطيعوا مقاومة إغراء العودة إلى الحياة الفطرية·· فهجروا الأناقة من أجل العمامة·· والحذاء من أجل البابوج··!

أقاموا فى الأحياء الشعبية، واقتننوا الجوارى والعبيد، ودخنوا الحشيش·· فقد ضاقوا ذرعا من تزمت العهد الفيكتورى، ولاشك أن فكرة«الحريم» كانت تعابث خيال الأوروبى كلما تذكر الشرق، وتجعله أسير حلم يرى فيه نفسه – سلطانا – محاطا بعدد من الغيد الحسان !

ولوحات روبرتس التى ضمنها كتابه الضخم:«الأراضى المقدسة ومصر والنوبة» حققت له شهرة واسعة، جعلت منه ألمع الفنانين الأوروبيين الذين زاروا الشرق، وقد سرد انطباعاته ونشاطه الفنى فى يوميات رحلته فى مصر، وفيها يصف القاهرة، بأنها مدينة لاتماثلها مدينة أخرى، بمناظر شوارعها وأسواقها العامرة وتنوع طرزها المعمارية·· بالرغم من بعض المعوقات التى أشار إليها فى مذكراته، مثل· ضيق الشوارع واكتظاظ الأسواق وفضول الناس·· فكتب قائلا *:«أخشى أن تطأنى الإبل بأثقالها فاتحول إلى مومياء، فمشهد الإبل على مافيه من جمال قد يكلفك حياتك·· يالها

من أسواق تختلط فيهـا شعوب الشرق جميعا، وأتراك ويونان فى أزياء غـريبة، وأخلاط متنافرة من البدو المسلحين، وصعاليك مشردين ونساء محجبات يمتطين الحـمير أو البغال، يحرسهن عبيد أشداء ، وسـقاءون بقـربهم الجلدية المميزة، وأسـواق تتنوع مـعروضـاتها بـسلع شرقـية وأوروبيـة٠٠ وأصحـاب الحوانيت فى وقارهـم، لاينزعون مبـاسم الشبك من أفواهـهـم ولا أعتقـد أن التدخين فى مصـر قاصر علـى الرجال وحدهم، بل إن بعض النسـاء المصريات يدخن فى بيـوتهن، ويستـخدمن نرجيلات فخمة ثمينة، كل ذلك يشكل أمـامى لوحات ماكنت أحلم بها٠٠ ولا أستطيع أن أمنع نفسى من الصياح مـتعجبـا أمام هذه المشاهد المتنوعة:« ياله مـن جمال٠٠» ياله من سحر آسـر« يالها من ملابس»٠٠ خشيت أن يعـتقد دليلى (الترجمان) أننى أصابنى مس من الجنون٠ الحـقيقة أنى كنت مذهولا من كل ماهو مـدهش وجديد أمامي، ومقتنعـا أنى وجدت نفسى على أرض بكر، وبأن هؤلاء الناس لم يسبق أن رسمهم أحد٠٠» !

وقـد برع روبرتس فى استـخدام الضـوء والظل- اسـتخـداما دراميـا- فى تصـوير أطلال مصـر القديمة٠٠ إبداع إنطوى على لمحات شجية خوفا على اندثار أعظم ماخلفته العبقرية الإنسانية٠

وكان الفنان«هنرى والسن» مبدع اللوحة:«موت شاترتون- Mort de chatterton» قد جلب مـعه بعض لوحـات عن شوارع القـاهرة، ولكنها ليـست فى حيـوية لوحات روبرتس أو لويس٠

وقـد ألهـمت القـاهرة الإسـلامـيـة، وطقـوس الحـيـاة الشـعـبـيـة، أبرع الـفنانين المسـتـشـرقين النمساويين:«ليوبولد كـارل مولر» الذى أقام بمصر عدة سنوات، وكانت أشـهر لوحاته:«السوق على أبواب القاهرة» التى تميـزت بالدقة وثراء التفـاصيل وروعة الألوان، جعلهـا تلقى كثيرا من الشـهرة الواسعة والإقبال، خاصة فى إنجلترا٠

وتمكن مـولر من إجـتـذاب إثنين من أشـهـر الرسـامين النمسـاويين«لينـبـاخ- Lenbach» و«هانزمـاكـارت-H. Makart» وبالفعل زار ماكـارت مصر عام١٨٧٢، مع مجمـوعة من الأمراء، وكان شديد الإعتداد بعـبقريته، معتقدا أنهـا تضارع عبقرية«روبنز-Rubens» النمسـوى، وتميزت لوحاته بالابهه والفخامة، أشهرها لوحته الخالدة«كليوباترا»٠

والفنان الفرنسى«بروسبـير ماريلا-P. G Marilhat» الذى اصطحبه عـالم النباتات الالمانى «فون هيـجل» إلى الشرق عـام١٨٣١ لمدة عامين فـتحـقق حلمه بزيارة مـصر وسـوريا ولبنان وفلسطين

وأبدع فى تصوير أنماط الحياة الشرقية، وبلغ ذورة فكره الجمالى فى لوحة:«مشهد من ميدان فى القاهرة» وأبرز فيها شاعرية حياة المدينة وواقعها اليومى٠*

وقد توغل ماريلا فى روح مصر، وفى مملكة الضوء واللون حتى اشتهر باسم«ماريلا المصرى» ومشاعره الذاتية أضفت على الفن الاستشراقى مسحة رومانسية جذابة ومؤثرة، وشكلت أشجار النخيل الباسقة والظلال الوارقة ومياة النيل المتألقة والرمال الذهبية ومنائر المساجد ووجوه البشر والأزياء الشرقية والإبل وألوان السماء« مادة أحلامه المنشودة وحياته المثالية !»

وفى تقييمه لصالون١٨٣٤، كتب «تيوفيل جوتييه-T. Gothier»«لقد حققت لوحات ماريلا صورة أحلامى عن الشرق، ففى لوحاته أحسست بأننى قد وجدت وطنى الحقيقى، وحين أشحت بوجهى عن هذه اللوحات، انتابنى حنين شديد إلى الشرق»٠

ومن أشهر لوحات ماريلا التى اكتسبت سحرا خاصا وشاعرية دافقة هى لوحات:«ساحة الأزبكية فى القاهرة»٠٠«منظر من بولاق»٠٠«أطلال مسجد الحاكم»٠٠« على ضفاف النيل»٠٠«مسجد باب الوزير»٠٠«مقهى فى بولاق»٠٠«منظر مصرى»٠

كذلك استقبلت القاهرة الفنان:«ليون اوجست بيلى»تلميذ ماريلا، فى عام ١٨٥٠، وأشهر لوحاته «الحجيج فى طريقهم إلى مكة» التى حظيت بنجاح هائل فى صالون باريس سنة١٨٦١٠

أيضا الفنان الفرنسى«شارلز فرير-Ch. Th. Frere» الذى كان من المستشرقين البارعين، زار القاهرة عدة مرات، وأتخذ لنفسه مرسما بها، وظل صالون باريس يعرض ابداعاته عن مظاهر حياة الشرق، ومشاهد عن النيل والصحراء، منذ عام١٨٣٤ حتى عام١٨٨٢٠

وبالإضافة إلى هؤلاء الأعلام من الفنانين، كان هناك أجيال من الفنانين منهم على سبيل المثال:«هوراس فرنية-H. verntet» و«ادريان دوزاتس-A. Dauzats» و«شامارتان-Ch. Champmartin» و«برشير-M. Berchere» و«جان ليون جيروم- E. L. Gerome» والذى كان من أشهر الفنانين الأوروبيين٠٠٠

خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر، هام عشقا بمصر واستحوذت الآثار الإسلامية والفرعونية على اهتماماته،التى اتسعت لتشمل تفاصيل الحياة اليومية والأحداث التاريخية٠

د٠ زينات البيطار: مصدر سابق، ص ٢٦٤

ولايمكننا أن نغفل الفنـــان الروســـــى» قســــطنطين ماكوفســــكى ـ C.Makovsk» ولوحته الشهيرة:«المحمل» التى أبدعها عام١٨٧٠٠

وكذلك الفنان البريطانى«لويجى ماير– L. Mayer» وعشرات من اللوحات التى تمثل مظاهر الحياة فى القاهرة، والفنان الأديـب« وليام بارتليت–W. Bartlett» الذى إهتم كثيرا بتـاريخ وشخصيات الكتاب المقدس وتاريخ الشرق عامة، وكانت لوحاته تعرض فى كل أرجاء بريطانيا، أيضا الفنان«وليم مـولر– W. Muller» والفنان«إدواردلير» اللذين اجتذبهما سحـر الشرق، وإن تركز إهتمامهما على الوصف الطبوغرافى للمنطقة٠

أما الفنان الأديب الفرنسى العظيم:«اوجـين فرومانتان–E. Fromentin» الذى استجـاب لإلهامات الشرق، فقدم فى مـذكراته صورة صادقة عن مصر٠خـاصة وأن معرفته بالشـمال الأفريقى وعمق ثقافتـه قد هيأته لتفهـم مصر بشكل جيد، ولوحـاته كما عبر عنهـا– تيوفيل جوتيـيه– توحى بأنها تسجيل لانطباعات خاطفة– لمحهـا وهو ممتط صهوة جواده، وفى كلماته حماس برئ لايكذب أبدا٠٠

فيقول فـرومانتان:*«كيف يمكن تصور البانوراما العجيـبة الرائعة لهذه المدينة٠٠ القاهرة٠٠ مدينة القبـاب والمآذن التى لاتحصى والمنتشرة فى كل مكـان٠٠ تنوع لانهائى لمشاهد تتراءى أمـام عيناى بسرعة مدهشــة، أسجل كل ما أستطيع عن إنطباعاتى، برسـومات كروكيه، فى مفكرتى، مسـتخدما قلمى الرصاص المفضض الذى لايحتاج إلى تقليم»٠

ولقد سجل لـنا هؤلاء الفنانين الرحاله الأوربيين، حقبـة من تاريخ القاهرة، مشرقـة بالضوء واللون، مـتألقـة بأناقـة الإخـتيـارات، فـأبرزوا عالمنا الـشرقى، الجـمـيل الغامـض، والذى رأى فيـه هؤلاء الأوروبيين:سحر أرواحنا ورفعة أذوقنا الجمالية والاخلاقية٠٠

كان عالمهم الخـيالى عن الشرق، مزدحم بصور مـستمدة من أساطيـر ألف ليلة وليلة، والقاهرة التى ظل للحيـاة الشرقية فـيها:طابعهـا الساحر الجذاب الطريف قـد ألهمتهم مـوضـوعات مبـتكرة، رائعة ومثيرة٠٠ خلدوها بفرشاتهم صورا٠٠ ستظل تثـرى وجداننا، فالفن هنا– كما كتب ديلاكروا– يهيم فى الشــوارع٠٠ فــقـاهرة الـشـرق هى فــردوس الفنان وحـلمـه الجـمــيل٠٠ فـيـكتب«أرثر رونيه– ArthurRone» الذى زار القاهرة عام١٨٦٤٠*

*Fronentin E.: Les Lettres de Jeunesse,Paris,1909

«كيف يتـأتى للمرء أن يصف تلك البـقعة السـاحرة، حيث تتـشابك الطرقات والأزقـة والميادين، فى إنتظام مفعم بسحر النزوة، فكل منزل فيها، عمل فنى تتجلى فيه الأصالة، وأبدعته يد رقيقة٠٠ كيف يمكن أن أرسم الصـمت فى الهـواء والنور المشـرق الذى يعم المنائر البـاهرة، فى تقـابله مع الضـوء الخافت الحنون الذى يشيع فى الطرقات، فيبعـث فى النفس حبورا سرمديا، وتمتزج الصورة واللون والحركة ٠٠ كل مفعم بروعة وصخب الحياة٠٠»٠

*فولكوف : القاهرة، مدينة ألف ليلة وليلة، ترجمة: أحمد صليحه، القاهرة، ١٩٨٦ص١٥٠

جون فردريك لويس

كانت بلاد الشرق التى نهضت فى احضانها: ابداعات فكرية وحضارية للعقل الإنسانى، تشكل عالما متوهجا بروعة الإبداع وسحر الخلود، فاجتذبت كثير من الأدباء والرحاله والفنانين الأوربيين٠٠
من بين هؤلاء، الفنان البريطانى الأشهر٠٠ جون فردريك لويس John -Frederiek Lewis (١٨٠٥ــ ١٨٧٦) بدأ لويس حياته رساما بالألوان المائية، وعاش فى انطواء وعزله متحفظا فى علاقاته مع الآخرين، فكانت حياته أشبه بحياة«العقاب» الذى آثر أن يعيش وحيدا٠٠! *
ترك لويس عددا من الرسائل، لكنه لم يدون مذكراته، أهم وأخصب فترات حياته، تلك العشر سنوات التى قضاها بالقاهرة، ولم توثق هذه المرحلة إلا من خلال روايات بعض أصدقائه وزائريه٠
عاش لويس بالقاهرة، مع بداية عام١٨٤٢حتى عام ١٨٥١، إستقر بمنزل رحب بحى«الأزبكية» بالقرب من باب اللوق، حيث تزيا بأزياء شريف عثمانى٠٠٠ وما من شك أنه حاول أن يقلد الارستقراطية المصرية، تماما كما فعل المستشرق«ادواردلين» الذى حاكى واقع المصريين فى أدق تفاصيل حياتهم٠٠
فى عام ١٨٤٢، إستقبل لويس، صديقه الفنان«ريتشارد داد» كما إستقبل راعى الفنون والعلوم والآداب٠٠ سير توماس فيليب٠ وفى عام ١٨٤٤ إستقبل الأديب المستشرق «وليام ثاكرى» الذى كتب عنه أروع حكاياته وأكثرها أهمية، فى الفصل الأخير من كتابه:« ملاحظات عن رحلة من كورنهيل إلى القاهرة»٠٠ ووصفه بأنه كان يحيا حياة «آكلوا اللوتس» !*
معرضا بقصيدة«كوليردج» التى تصف هؤلاء الذين يجدون النسيان فى أكل بذور زهرة اللوتس !٠٠
وكتب ثاكرى: لبيت دعوة صديقى جون على العشاء، الذى يعيش حياة شرقية كاملة٠٠ فالرجل

---

*Thackeray W.: A Journey From corn Hill to Grand Cairo, 1846,P.186
*Ackerman G. M: les orientalis de l' ecole Britannique, Paris, 1990,P.68

يرتدى روبا أصفر طويل، تتدلى منه لحية شهباء طويلة ، محلوق الرأس، مغطى بقلنسوة قصيرة. يعلوها طربوش·· بادرنى بالسلام فى ود ملحوظ، خلع البابوج(حذاء خفيف بدون كعب) من قدميه قبل أن يأتى لنجلس سويا على الأريكة·· صفق بيديه مناديا «مصطفى» بصوت رخيم، وسرعان مادلف مصطفى، حاملا قناديل، ثم أتى بالشوبك وأقداح القهوة·· خلال حوارنا، لاحظت أن فتوره ولامبالاته الشرقية، قد أخلت المكان لمودته البريطانية !·· وبدأ رفيقا ممتعا، بالرغم من أن مظهره يتوافق مع الحياة الشرقية·

وعندما يخرج لويس، يمتطى جوادا أشهبا مسرجا بسرج أحمر، وبصحبته خادمين يسيران بجانبيه، مرتديا حلة إحتفالية رائعة، زرقاء قاتمة السترة مطرزة وكذلك البنطلون، وذقنه تستدير على صدره، فيبدو كواحد من النبلاء·· وسيف دمشقى معقوف يتدلى على فخذه، وغطاء رأسه الأحمر يضفى عليه مهابة ووقار البكوات·· !

لا يهتم بتوافه الأمور، ويحيا حياة حالمة مسترخية، مابين ضباب الطباق·· وتناول القهوة، يمكث منفردا فى عزلته الاختيارية، وقال لى:أنه لايشعر بحاجته إلى قفاز من الجلد الأبيض أو ياقات منشاه، أو حتى إلى قراءة الصحف اليومية·· بل أن حياته هذه فى القاهرة، كانت فى عينيه تحضرا ورقيا·· !

فى عام ١٨٥٠، أبدع لويس لوحته الشهيرة:«الحريم»·· صور فيها مشهدا داخليا فى منزل راق، ورب البيت بين نسائه فى الحرملك، من الجوارى والخدم، يجلس بين أكداس من الوسائد الأنيقة، وجميعهم يتطلعون فى فضول ممزوج بمشاعر متباينة: إلى وافدة جديدة إلى الحريم·
وقد حقق لويس نجاحا باهرا بهذه اللوحه، فى صالون«جمعية الألوان المائية» بلندن، فى نفس السنة· وقال عنه الناقد الفنى الكبير:«جون راسكين»···« لن تجد فى تاريخ الفن، أكثراكتمالا وتفردا من أعمال لويس»·

وقد تميزت لوحاته بالدقة المتناهية، وثراء ووضوح التفاصيل، والتجديد فى اختيار موضوعاته، بعيدا عن«الاستعراضات الرومانسية» أو الكليشيهات التقليدية عن الشرق كأسواق العبيد والآثار، فقد كان ينظر بعين واقعية إلى كل ما يحيط به من مشاهد، مبتكرا«لوحات هادئة» مستلهمة من صميم الحياة اليومية، محافظا على تقاليد العصرالإيقونية حتى وهو يبدع مشهدا شرقيا شعبيا، مثل «كاتب الرسائل» فى السوق·

بالإضافة إلى ذلك، فعندما كان يرسم المنازل وقصور الشـرق الفاخرة فقد كان يهدف بالأساس إلى التعريف بثقافة عريقة، كانت فى مفهوم الغرب حتى ذلك الحين– ثقافة بربرية !

وقد دون فى بعض رسائلـه، انطباعاته عن مشاهد أثارت خـياله فى شوارع القاهرة، فـيصف«سوق الرقيق»فيقول: ··أحد الأماكن التى أفضلها، كان السـوق قائما فى فناء مفتوح، محاطا بالاروقة على الطريقة الرومانية، والرقيق يعرضـون للبيع فى وسط هذا الفناء، وعددهم نحو الأربعين معظمهم من الشباب، موبعضهم أطفال، كان مشهدا مثيرا··

بالرغم من أننى لم أكن شاهدا عليه·· وكما كنت أتخيله دائـما: مشهدا يبعث على الأسى والحزن·· والجوارى الجميلات يلزمن غرفة أعلى الفناء وهن غالبا قوقازيات وحبشيات·

وعندما يتقدم أحد المشترين، أرى التاجر يرفع رداء سـميكامن الصوف يغطى أجسادهن، ليعرضهن على من يبغى الشراء··

بعض هؤلاء الفتـيات، كن يتمتـعن بقدر فائق من الجمـال، قوام ممشوق، وصدور ناهدة، وقـسمات دقيقة، وعيون رائعة تنطق بمكنون مشاعرهن··!

تلك الأوقات التى قـضيتـها فى القاهرة، هى أحلى مـاعشت فى عمـرى، فهذه التـجمعـات، والمشاهد الغريبة، والألوان الصاخبة، والأزياء والعادات العجيبة·· لايمكنها أن تخاطب إلا·· «الفنان» !

دافيد روبرتس

ستوك بريدج ١٧٩٦ـ لندن ١٨٦٤

لاجدال فى أن «دافـيد روبرتس» هوأعظم الفنانين المسـتشرقين، فـقد فاق الجـميع عبـقرية وأسلوبا وإنتاجا٠٠

ومن أول وهلة، نلحظ أن بدايات روبرتس وتكوينه وحياته لم تكن عادية، فهو ينتمى إلى عائلة فقيرة جدا، إستقـرت فى ستوك بريدج بمدينة ويست كيرك، كان والده إسكافيـا، لم يهتم بتعليم إبنه، لكنه إكتشف فيه ميوله إلى الرسم الذى لايتناسب مع صبى فى مثل بيئته٠٠! *

بمجرد أن تعلم دافيد الصغير القراءة، كان يلتهم الكتب إلتهـاما، وحبه للمعرفة جارفا٠٠ ألحقه والده بمدرسة داخلية، غـير أن القسوة التى كان يعامل بهـا، قد تركت فى حياته أثرا مريرا٠٠«وكالـصبيه الآخرين، كنت أعامل بوحشيـة، حتى أن جلد يداى وقدماى كان مشققـا بصفة دائمة من أثر الضرب بالعصا»٠٠!

طلب دافيد أن يترك المدرسة ويلتحق بعـمل ما، وأبدى رغبتـه فى أن يصبح رساما أو يمتـهن أعمال الدهان، وإقـترح أحد أصـدقاء الأسـرة، أنه يستطيع أن يمارس الرسم، إذا مـاتعلم مهنة تتـيح له أن يكسب عيشه، ويتكفل بنفقاته كفنان، حينئذ كان فى العاشرة من عمره٠

قبـل اختراع الدهـان بالزيت، كان دهان المبـانى بمواد بسيطة، والواجـهات تتطـلب مهارة ودقـة فى زخارفها، وإستـطاع روبرتس أن يتعلم الكثير خلال تلك الفترة، وأصـبح الفتى المدلل لصاحب فريق العمل– جافان بيجو– وبمرور الزمن، بدأ روبرتس يبدى قلقـا وشعورا بعدم الإستقرار، وبالرغم مما عاناه من قسوة ومـرارة فى تلك المرحلة، إلا أنه اكتسب من بين فريق العمل هذا صديق عـمره«دافيد هاى» الذى تخصص فى أعـمال الزخرفة الداخليـة، والذى أصبح فيمـا بعد، فنانا شهيـرا وكاتبا فى الفن والجمال، بعض زمـلائهما كانت لهم أيضـا طموحات، فأقامـوا لأنفسهم مرسمـا فى قبو بمحل

Roberts D. : Egypt and nubia, Landon, 1848. P. 18-19

إقامتهم٠فى سن السابعة عشرة، عمل روبرتس نقاشا فى «بيرث» وإحتفظ بهذا العمل لمدة سنتين٠
بعد ذلك، عمل روبرتس لعدة سنوات، فى أعمال الزخرفة والديكور بأحد المسارح، وشارك فى إنتاج بانوراما تجارية شعبية، وقد اكسبته هذه الممارسات، مهارة ،وخبرة وسرعة عجيبة، فى تغطية مساحة كبيرة من قماش الرسم فى يسر وسهولة، والأعمال المسرحية المؤثرة، أكسبته دراية بالفنون المرئية، وأصقلت أسلوبه ورؤيته كفنان متميز، وأعدته للقيام برحلته الشهيرة إلى مصر والأراضى المقدسة ١٨٣٨- ١٨٣٩٠

ومما لا شك فيه، أن المعرض الذى ضم نتاج هذه الرحلة، كان فاتحة لموجة من الفنانين المستشرقين، ورحيلهم إلى الشرق، خلال ا لعشر سنوات
التالية، وعلى رأسهم:داڤيد ويلكى وريتشارد داد٠٠ وقد وضع روبرتس الفنان الرحاله، منهاجا جديا يعتمد على البلاد الإسلامية المعاصرة، من زاوية الفن القديم«متاحف أثرية» تقدم على الطبيعة: تقاليد وعادات وأزياء متوارثة من الأزمنة القديمة، وكان فى ترحاله، يهتم كثيرا بتفاصيل الحياة اليومية للشرق، كما لاحظ عدم إتصاله بالمواطنين إلا فى حالات الضرورة القصوى، وقد يكون ذلك عرفا سائدا، باعتبار أن الدليل الذى يقود القافلة أو المترجم الرسمى التابع للبلاط العثمانى هو بمثابة«حاجب بين المؤمنين الحقيقيين وهؤلاء الكفار الذين يزورون هذه المناطق» !

فى الرابع والعشرين من سبتمبرسنة١٨٣٨، وصل روبرتس إلى الاسكندرية، بعد أن توقف بجزيرة كريت ، وقد أبحر منها بعض الحجاج المسلمين فى طريقهم إلى مكه٠٠٠

«ومن المسلم به، أننى ومفكرتى الخاصة بالاسكتشات السريعة، كنا فى شغل عما حولنا» كتب ذلك وهو يصف هؤلاء الحجاج فى خطاب إلى إبنته٠٠٠٠ «ويؤدون خمس صلوات فى اليوم، ومشهدهم ساجدين من أكثر المشاهد تأثيرا» وأشار إلى تميز المسلمين بالتقوى والورع دون تعقيد٠

وفى رسالة أخرى:«قمنا بزيارة سوق الرقيق المثير للنفور، الفتيات يمثلن الغالبية العظمى من الرقيق٠٠ البعض منهن شركسيات، والبعض الآخر زنجيات، الشركسيات يرتدين ملابس قيمة، أما الزنجيات فكن يجلسن القرفصاء تغطى أجسادهن ثياب رثة ممزقة، تحت شمس محرقة يمكنها أن تقتل أى أوروبى، لقد كان مشهدا مثيرا للملل والاشمئزاز، وغادرته وأنا فخور بإنتمائى إلى أمة قد لفظت تجارة الرقيق»٠٠!*

*Roberts Ibid:P.62

حساسـية روبرتس أثارها هذ ا الموضوع اللا إنساني، في نفس الوقت تزايدات حمـلات أنصار إلغاء الاسترقاق، وطالبوا بفرض قوانين ضـد الرق في البلاد الأخرى، من ناحية أخرى، كانت الطرق التي يسلكهـا تجار العبـيد، هي ذاتها الـتي يسلكها الرحاله والـزوار الأوروبيين، فكانوا كثيـرا مايلتـقون بقوافل الرقيق!

في الاسكندرية، أمـد الكولونيل«باترك كيـمبل» القنصـل العام البريـطاني، الفنان روبرتس بخطابات توصـية إلى مـحـمد على باشـا نائب السلطان العـثـماني وحـاكم مـصر، وبعـد عـدة أيام قضـاها بالاسكندرية، بدأ رحلتـه إلى القاهـرة، بصحـبة مـجمـوعة من السـائحين الإنجليز الأثرياء وخـادم يدعى«إسماعيل» من الاسكندرية٠٠

وفي القاهرة، تفاوض لإسـتئجار دهبية، هو وثمانيـة من رفاقه، ليركبوا النيل حـتي الشلال الثاني، وكان الإتفاق محددا بثلاثة شهور، وبواقع خمسة عشر جنيها إسترلينيا لكل شهر٠

وبينمـا كان روبرتس فـخـورا بأنه أول فنان بريطاني يصـعد في النيل حـتي لحق به الفنان«وليـام جيمس مولر» بعد أربعة أسابيع تقريبا٠٠

وقد بدأ من خـلال إبداعات روبرتس ويوميـاته، إهتمامه البـالغ بآثار مصر القـديمة٠٠ وقد تأثر بما شاهده مـن قوافل حزيـنة للرقيق المهـرب، ومن أعمـال السخـرة والخدمة العـسكرية الإجـبارية٠٠ وآثارإستياءه أن دهبيتهم إلتقت المركب الفاخرة للباشا، ولكن لم توجه لهم الدعوة٠٠!

أطلال الفراعنة التي شـاهدها روبرتس، تختلف تماما عـما يشاهده السـائحون اليوم، فقـد كانت في أمس الحاجة إلـى عمليات ترميم هائلة، والمعـابد العظيمة – حينئـذ– كانت مدفونة في الـرمال حتى منتصفها، وإمتدت إليها بيوت المواطنين وتداخلت معها !

كتب روبرتس في الأقـصر*:«سرت هذا الصباح، على أحجـار وأطلال هذا المعبد الهائل، المندثر بين منازل مشـيدة بالطوب اللبن٠٠ تسلقت مدخل المعـبد، حيث أمكنني رؤية بقـايا هذا المعبد وأعـمدته، المتداخلة مع المبـاني الحديثة»٠٠ وشدما آلمه أن يعـيش المصريون حياة بدائيـة، بائسة٠٠ وفي أدفو، أرهقه التـفكير في هذا الأمـر:«هل من الممكن ـــ ذات يوم ـــ أن تعـود هذه الصحـراء لتصبـح خلية للنشاط الإنساني كمـا كانت؟» ٠٠ وربما كان ذلك محتملا ـــ من وجـهة نظره ـــ طالما«أن مصر هي محور إرتكاز علاقة بريطانيا بالهند»!

*Roberts D.:Egypt and nubia, London, 1848, p.18-19

وبينمـا كان روبرتس يفكر فى هذا التـساؤل، كـان «توماس واجـورن» احد كـبار ضـباط البحـرية البريطانية فى الهند، يجرى مفاوضات مكثفة مع مـحمد على للموافقة على مد خط سكة حديدية بين القاهرة والسويس··

وفى أبى سمـبل، أطلق روبرتس لمشـاعره العنان، مأخـوذا بسحـر وجاذبيـة المعبدين المنـحوتين فى الصخـور، فمكث هـنالك بضعـة أيام، بينما واصل رفـاقه رحلتـهم، فأنجـز كثـيرا من الاسكتـشات السريعة لـلأطلال الرائعة التى تراكمت عليهـا الرمال·· وتلك كانت أقصى نقطة وصـل إليها بوادى النيل·· وكانت كوم أمبو إحدى المدن التى أعجب بها ورسم معبدها الشهير·

عندما توقف فى أسيوط، اكتشف أنه نسى كراسـة الاسكتشات النوبية، على مسافة ١٣٠ ك/ م فى المقبـرة المنحوتة فى صخـور جرجا·· وأصبح روبرتس فـى مأزق، كاد أن يتحـول إلى كارثة، لأن حصيلة العمل فى نصف الرحلة مهدد بالفـقدان، ولحسن حظه، كانت هناك مركب على وشك الإبحار جنوبا، فإتفق مع إثنين من ركابها أن يأتيا إليه بـهذه الكراسة الثمينة، وإضطر روبرتس إلى التوقف عن عمل أى شئ، ويكاد القلق يمزقه، حتى عادت إليه ضالته المنشودة !

عقب عودته إلى القاهرة، كتب إلى إبنته:«وخلال رحلتى هذه، مـررت ببقايا آثار عظيمة، وأماكن كانت مأهولة قديما، عاشت فيها أسرات عريقة ثم طواها الـنسيان والزمان·· بعض بيوت قبطية مهجورة وعلى وشك أن تتـقوض····وأطلال تدل على مـدن عظيـمة، كـانت تزدحم بشعـوب دأبها العـمل والإبداع، وتزدان بأضــخم وأروع المعابد، ومبـان فخـمة عـجيبـة·· اليوم،تغـير كل هذا، أصـبحت مهـجورة، قاحلة، معـزولة، تتولاها حكومات حـمقاء، وسكانهـا اليوم يجوســون خلال تلك الأطلال كأنهم حيوانات بدائية·· أتأملها وقلبى مفعم بالألم !·· »

«حصلت على ملف هائل من الاسكتشات لمعابد وآثار الفـراعنة، ذات الأهمية الكبرى، وأتمنى أن أحقق ملفا آخر عن جوامع القاهرة التى لانظير لها فى العالم··

والعقبة الوحيدة التى قد تعترضنى، هى ضرورة الاسـتسلام للمعتقدات الإسلامية، التى لاتسمح — للكافرين — بأن يطأوا ويتوغلوا داخل مساجدهم»!

ولكن بفضل علاقاته، لم تعترضه أى مشكلة، فحصل على فـرمان من عباس باشا، حفيد محمد على، برسم الجوامع، ومن الداخل أيضا، بصحبة بعض الجنود إذا كـانت هناك ضرورة، وكان محمد على باشا حريصــا على وجود علاقات جـيدة مع الإنجليز، وكما كـانت فرماناته تتمـتع بسلطة قوية فى

مصر، كانت لها أيضا فى بلاد الشام، قوة وسرعة النفاذ٠

وفى رسالة كتبها روبرتس إلى شقيقته:«شكرا لله، بفضل محمد على أصبح السفر إلى سوريا اليوم آمنا٠٠ كأننى فى إنجلترا» !

وبالفعل لم يكن روبرتس فى حاجة إلى حماية الشرطة فى القاهرة، وظل يرسم بين الناس، حتى إذا إمتد به الوقت، غير أن بعض المسلمين المتشددين الذين يحرمون رسم الصور، عبروا عن إستيائهم بأسلوب لايخلو من جهل وطرافة٠٠ فأحيانا يجد حجرا أو برتقالة تتخذ طريقها إلى اللوحة التى يرسمها٠٠!*

كتب روبرتس فى ٢٩ ديسمبرمن يومياته:«رسمت لوحتين كبيرتين إحداهما لشارع يؤدى إلى المارستان، والأخرى لنفس الشارع ولكن من زاوية مختلفة، يغلب على مشاعر الناس المودة، وفى بعض الأحيان أجد صعوبة فى الرسم فى شوارع مكتظة بالعابرين، لكن بصفة عامة، كل شئ يسير بطريقة مرضية»٠

كانت سعادة روبرتس تفوق كل وصف، عندما يرى نوعيات مختلفة من الناس «٠٠ جميع شعوب الشرق تختلط ببعضها»٠٠

ذات يوم، إرتدى زيا عربيا، وصحبه حارس نوبى، ودخل جامع السلطان الغورى، حتى توسطا صحن الجامع، وفيه تحلق بعض الرجال المنهمكين فى تطريز قطعة كبيرة من القماش الفاخر، وإقترب روبرتس أكثر، ورأى البعض يجثون ويقبلونها، فجثا على ركبتيه وتناول طرفا منها ليتفحصها، فإنتزعها حارسه من يده فى الحال ودفعه إلى الطريق٠٠ لقد أراد روبرتس أن يلمس الكسوة المقدسة المخصصة للمشهد النبوى بالمدينة!

---

*Ballantine J.:The life of David Roberts, Edinburgh, 1866,p96

جان ليون جيروم

(١٨٢٤-١٩٠٤)

الذى شغف حباً بمصر، هو أحد أشهر الفنانين المستشرقين فى القرن التاسع عشر، كانت أولى زياراته لمصر – مستجيباً لإلهامات الشرق – عام ١٨٥٤، ونزوع رومانسي نحو الشرق الساحر الغامض، ولوحاته الاستشراقيه هي أبرز أعماله ، التى إحتلت الصداره في معارض "صالون باريس" لمدة ثلاثين عاما. . .

وقد كتب جيروم يوميات رحلته الاولي في ثلاثين صفحه، تولي نشرها "مورو فوتيه" . . أيضا وصف تلميذه "بول لينوار" رحلة جيروم في كتابه المنشور عام ١٨٧٢. . كما إستخدم الكاتب الصحفي «ادموند آبوت» الذى شارك جيروم فى رحلته، الجزء المصرى من الرحله، كلوحه أساسية لقصته "الفلاحه" التى نشرت عام ١٨٧٠ وأهداها الى جيروم.

وقد ضم فريق هذه الرحله، بعض الصحفيين والمصورين من أصدقاء جيروم: البير جوبيل، ليون يونات، فامارس تيستاس، ريتشارد جوبى، وفردريك ما سون، الذى روى جانباً من ذكريات هذه الرحله فى بعض مقالاته، وقد وصف جيروم قائلاً :*

«. . كأن جيروم ولد خاصة لهذه الرحلات النائيه، التي تتطلب بنياناً قوياً وفكراً حازماً. . يقف دائما دون كلل أو ملل . يقود القافلة بطريقة لا يمكن لاحد الإعتراض عليه، مع إشراقه كل صباح، كان يتولى الإشراف علي أدق الأمور، وتوزيع المهام، ثم يمضي ساعات طويله: يدخن . . يصيد . . يدون بعض ملاحظاته . . ويفتش بعيون الفنان والكاتب وعالم الآثار. . وما يكاد يصل إلى

---

*Ackernan G.m:La vie et l'oeuver de Jean-leon Gerome, Paris,1987,P.86

المعسكر، حـتى يبدأ العمل ، ولا يحـول بينه وبين عمله . . مطر أو رياح ! ثم ينظف البـاليت وفرش الرسم . . ويالها من صـحبة رائعة ، حول مائدة ، تحت خيمة!»

الرحلة الأولى إلى القاهرة

كتب جيروم في يوميات رحلته الاولي:

"رحيلى الى القاهرة. . إقامتى القصيرة فى القسطنطينيه فتحت شهيتى، كان الشرق هو حلمى الجميل، ربما ، كان أحد أجدادى من البوهيميين، لأننى أميل إلى الترحال ، ومولع بالتنقل. .

أرحل مع أصدقاء، أنا خامسهم ، الجميع لا يحملون الكثير من المال، ولكنهم يفيضون نشاطاً وحيويه. .

الحياه المادية فى مصر – فى تلك الفترة – قليلة التكاليف، ولم تكن قد وقعت فى براثن الغزو الاوروبى بعد . . نستأجر قارباً شرعياً، قضينا أربعة ايام على صفحة النيل. . نصطاد ونرسم. . فى ترحالنا من دمياط إلى فيله. .

نعود الى القاهرة نقضى أربعة شهور أخرى ، فى أحد منازل سليمان باشا المؤجر لنا، وبصفتنا فرنسيين ، فهو يستضيفنا فى ود وترحاب . . زمن الشباب السعيد والأمل والمستقبل أمامنا. . الكثير من اللوحات، سواء منها ما سيحظى بنجاح كبير أو ضئيل ، أو تحوز إعجاب الجمهور بدرجات متفاوته، سوف أنتهى منها بعد هذه الإقامة على شاطىء "أبو الأنهار".

تلك أول سلسلة من الرحلات النظامية للشرق الاوسط ، وبالأخص لمصر وآسيا الصغرى كان "إميل أوجيه" مؤلف المسرحيات الناجحة بصحبة جيروم ، و"أوجست بارتولدى" مبدع تمثال الحرية والذى حمل معه ما يحتاجه من مواد التصوير الفوتوغرافى، ورسامين هما : بابى ونارسيس بيرشير، ولا مراء أن جيروم قد إحتفظ بالصور الفوتوغرافية التى صورها بارتولدى لإستعماله الشخصى.

كتب "جوتييه" ، بعد زيارة إلى المرسم الجديد بشارع نوترد ام دى شامب:

" الفوتوغرافيا، التى تتقدم اليوم نحو الكمال الذى تعرفونه، تغنى الفنان عن نسخ الآثار بوسائله،

بدقة مطلقة، حيث أن حسن الاختيار لوجهة النظر والوقت المناسب، سيعطى للعمل قيمة كبيره".

لقد وجه – جيروم – أعماله الى تلك الناحية، فهو رسام تاريخ، وموهبته اصقلتها الدراسه والخبره. متأنق، ملتزم، مفعم بالإبداع، والاحساس الخاص.. الذى ستزداد أهميته بالنسبة للفنان فى ذلك العصر، عصر التنقل العالمى السريع، حيث أن كل شعب من شعوب هذا الكوكب معرض للزيارة ولو كان قابعاً فى بعض الجزر النائية!

أصبح التنقل أيسر وأسهل، والرحلة أكثر متعه.. سواء للإستمتاع بعناصر طبيعية جديده، أو مشاهدة أطلال الأقدمين.. وللإستكشاف.. والبحث عن الغريب والمثير.. والنموذج الحلم.. موتيفات شرقيه تنتمى إلى زمان آخر ومكان آخر!

كتب جوتييه: *"كان جيروم لطيفاً، بتركنا نتصفح حافظته الفنية، وأن نشاهد رسوماته السريعة (الكروكى) التى رسمها بالقلم الرصاص، ملاحظات سريعة، مسجلة من الحقيقة وجها لوجه، دون إستعداد، ودون ترتيب، بدقة وعفوية أمينه، وتعبير ساحر، إن أقل ما إبدعه جيروم رسومات سريعة (كروكى) كانت واضحة، وثابتة، ومحدده وانتهت باهمالها..»!

«.. لقد قام الفنان الرحاله بعمل العديد من الدراسات بالصور الشخصية فى منجم الرصاص وفقاً لنماذج متميزة: الفلاحين، والأعراب، وزنوج مختلطى الدماء، أناس لو وضعوا تحت ملاحظة جيدة، لأمكن الاستفادة منهم فى الأبحاث عن أصل الإنسان أو علم الاجناس وتطورها وسمتها وتقاليدها فعلى سبيل المثال – ومازال الحديث لجوتييه: الجمل، درسه رحالتنا من جميع جوانبه، فى كل تصرفاته، وكل خطواته وكل مواقفه فى المشى أو الراحة، وهو يجتر، وهو يحلم، وهو يلعق مشافرة أسنانه العارية..

لن ننتهى من ذلك إذا أردنا أن نذكر تفصيلات لا نهائية، والمسجلة على هذه الأوراق المنفصله، ودراسة نخيل الدوم، والسواقى التى ترتفع مع عجلتيها أوانى صغيرة مربوطة إلى بعضها كالمسبحة، ومقاهى، ووكالات، وأماكن للاستراحة، وزوايا الإهرامات، وصورة جانبية لأبى الهول وفازات ذات خطوط ونقوش قديمة، وأبواب جوامع، كل ما تقدمه الصدفه للمسافر من جديد وغريب.. إلى عين خبيرة تعرف كيف تنتقى، ويد متمرسه تعرف كيف تعبر وتبدع».

---

*CarreJ.M.:Ibid,P.182

ولقـد أثرى جيـروم ذاكـرة الفن بزيارات أخرى إلـى مصـر فى السنوات ١٨٦٢ ، ١٨٦٨ ، ١٨٦٩ ، ١٨٧١ ، ١٨٧٤ ، وسنة ١٨٨٠ .

ويذكر فريديريك مـاسون الذى إصطحبه مـرة على الأقل، أن جيروم كان يعمـل كل مساء وهو على المركب يرسم إسكتشات، ولا ينقطع عن الرسم حتى يحل المساء .

وتجدر الإشـارة إلى أن جيـروم قد شكل حـماراً من الجص . . إستـخدمـه فى كثيـر من المناظر للشوارع، ولوحات تعرض المكاريين ، ومناظر الشوارع التى أبدعها كلها فى القاهرة. .

فى الشهور الأخيرة من حياة جيـروم، غلبت الكآبة على لوحاته فكانت وكأنها مجرد ديكورات فى مسرح هجره الممثلون!

وشعر جيروم أن موضة الحكايات الحقيقية التى كان يعرفها قد ولت فكان يرسم دون إقتناع!

واستمر فى إنتاج صـور النساء فى الحمام، حيث أن بيعها مضـمون، وكان يحدث دئماً أن يكرر الموديل عدة مرات فى لوحة واحدة والوضع فقط هو الذى يختلف!

فمثلا يرسم الموديل فى أوضاع مختلفة، فتـارة جالسة بجوار حوض السباحة، وتارة أخرى على مقعد منحوت – لوازم المرسم التى يستخدمها من عشرات السنين ·

أوضاع غيـر مريحة دائماً، تذكـرنا بأوضاع المرأة عند « ديجا». . وإن كان جـيروم لم يحاول أن يضفى جمالاً أخاذا تفتقده موديلاته العاريات، أو إظهارهن ممتلئات سمينات، يتثنى لحمهن فى طيات تلهب المشاعر!

لمحات من رحلة جيروم سنة ١٨٦٨:

كان جيروم قد أعد نفسه لرحلة طويلة إلى مصر وآسـيا الصغرى، ولذا فقد طلب أجازه مفتوحة من مدرسة الـفنون الجميلة بباريس – التى كـان أستاذا بها – تـبدأ من اول يناير لسنة ١٨٦٨، وكلف صديقه " جوستاف بولانجيه" برعاية مرسمه لحين عودته.

. فى التاسع من يناير ١٨٦٨ ،غادر جيروم مارسيليـا متوجها إلى الاسكندرية ومنها إلى القاهرة ، وقد روى " لينوار" تفـاصيل زياراته المتعدده للجـوامع الأثريه مع جيروم، وسجل إنبـهاره بروعة العمارة

الإسلامية ، ألبـوماً يتضمن صوراً فوتوغرافـيه لكل أعماله٠* قضى جـيروم شهراً مأخـوذا بمعالم القاهرة الإسلاميه، ثم إصطحب رفاقه مرشداً وتـرجماناً، وتحت قيادته توجهوا إلى الجيزة ، فى ٢٠ فبـراير، على ظهور الحمـير، وأقامـوا معسـكراً لمدة ثلاثة أيام ، ثم توجهوا جنوبـاً حتى وصلوا إلى "قنوات يوسف" الاسطوريه المؤديه إلى واحات الفيـوم. إصطادوا عددا من الخنازير البريه، وطوال ترحالهم لم يتوقف جيـروم عن الرسم . وفى قرية سنورس (مركز بالفيوم) وجـه دعوه إلى فرقة من العوالم ليرفهـوا عنهم فى المعسكر، وقام لينوار وجيروم برسمهن وتصويرهـن فوتوغرافيا ، ثم واصلوا رحلتهم بعـد ذلك إلى مدينة الفيـوم، بعد أن تركوا أحد رفـاقهم بالطريق، فعاد إلى ضـفاف النيل حيث لم يتحمل شدة الحرارة، وعلى مسافة آكثر من مائة كيلو متر من القاهرة، إكتشفوا بعض المناطق التى يقطنهـا قليل من البدو، ثم وصلـوا إلى النيل عن طريق السكة الحديديةالحـديدية ، وفى مـواقف كثـيرة، كـانت العربـة التى يستـقلونهـا، تفصل عن القـاطرة وتتـوقف على الطريق بوسط الصحراء . . بينما السائق يذهب بالقاطرة لإحضار الوقود! . .

---

*Ackerman G.M.:Ibid,P.112

بعد عودتهم إلى الجيزة، إستقلوا القطار إلى السـويس، ومنها واصلوا رحلتهم إلى جبال سيناء، وقد عكست هذه الرحلة خـبرة جيروم، وإعـجابه الشديد بالأعـراب، ومعرفـته بطرائق حيـاتهم· وتجدر الإشارة إلى أن جيروم لم يكن يكتب أكثر من فقرة واحدة فى اليوم، من مذكراته اليومية·

أحاطت المهابة قافلتـهم الجديدة· المكونة من عشرين رجلا، وسبعة وأربعين جـملا، أحدها مخصص لحمل معدات ومواد التصوير الفوتوغرافى·

بدأت المسيـرة فى ٢٢مارس، بمحـاذاة الضفـة الشرقيـة لخليج السويس، وفى السـادس من إبريل، وصلوا إلى دير سانت كاترين وجبل سيناء، بعد أن كابدوا كثيرا الأمطار والبرد القارس والعواصف الزملية·· ضاعف جيروم من اسكـتشاته، فكانت ساحرة فى كثير من الأحيـان، وبعضـها ساذج·· وقال صديقه«جـورنو أن جيروم كان يشعر بأن هذا آخر عـبور له للصحراء، فرسم إحتيـاطى كبير كان كافيا لتغذية لوحاته لسنوات طويلة·

قضوا أياما بدير سانت كاترين، كانوا يجهلون خلالها الكنوز التى اكتشفها«كورت ڤايتسمان»·· ثم إرتقوا جبل سينـاء، حيث قام جيروم برسم إسكتش لمعركـة«علميك»·· وواصلوا رحلتهم إلى خليج العـقبـة· ثم إلى مدينة «البـتراء» حـيث وقعـوا فريسـة لعـصابة من قطاع الطرق، لمدة أربعـة أيام، يفرضون عليهم أتاوة يومية باهظة على ما يحملون من مؤن،

ويزعجونهم أثناء جلساتهم للعمل والرسم أو التصوير الفوتوغرافى، ويطوفون حول خيامهم ليلا·

كتب جيـروم فى يومياته:*«عند الرحيل، كان قطاع الطرق يصحبوننا ويقـودونا خلال طرق مخيفة حتى حـدود أراضيـهم، دائبون فى طلب الـنقود، حتى الـترجمـان كان مـضطرا لمنحهم المزيـد حتى أفلس·· غير أن أحـدهم لم يكن راضيا عمـا حصل عليه، فاعـترض الطريق بحصانه، مـتكئا بإحدى ذراعيه على رمـحه، والأخرى يلوح بـ« سبينغـوك»ـ بندقية من طراز القرن السادس عـشرـ لقد كان مشهده رائعا ولكن قتله كان سيطيب خاطرنا، ومبعث سرور عظيم لنا»··!

ثم واصلوا الرحلة الشـاقة إلى القـدس، حيث تولى «بونات» قـيادة القـافلة التى واصلت السـير إلى سوريا، بينمـا توجه جيـروم إلى يافا، ليسـتقل مركبـا عائدا إلى مارسـيليا·

---

*Ackerman G.M.:Ibid,P.115

أوجين فرومنتان

(١٨٢٠-١٨٧٦)

كان للأديب والفنان«فرومنتـان» دورا بارزا فى حركة الاستشراق الفنى فى منتـصف القرن التاسع عشر، وتفرد بنظرة جمالية، جمعت بين الروما نسية والفكر الواقعى٠

تأثر فـرومنتان بالمناخ الثـقافى والفـنى الذى كان يسـود باريس فى ذلك العصـر، وتغيـرت معـالم شخـصيته تمامـا، عندما أدرك عدم جدوى دراسـته، وقد أنهى دراسة الحـقوق بجامعـة باريس عام ١٨٤٣، فبدأ يعيد تكوينه الثـقافى من جديد، بحضور محاضرات أعلام الفكر: أوجاركـينيه، ميشليه، سانت بوف وغيرهـم، وبدأ الدراسة الأكاديمية لفن التصوير فى أتيليـه الفنان ريمون، ثم فى متحف الفنان لويس كابيه، وتوطدت صداقته بالفنان المستشرق شارل لابيه٠

وتلبية لدعوة الفنان لابيه، قـام فرومنتان بزيارة الجزائر سرا عام١٨٤٥ * حيث كانـت أسرة لابيه مستقرة بمدينة«البليدة» وكانت عائلة فرومنتـان تعارض اتجاهه للفن، فسافر دون علمهم، واستمرت الرحلة لمدة شـهـر، أثمرت حـصـيلة ابداعيـه هائلة، وكـتب لوالده رسـالة، أوجـز فيـها انـطباعـاته الدافقة:«٠٠ قد أكون مخطئـا، غير أن رحلتى هذه، وتوجه أفكارى الجديدة، وذلك الدرس الرائع الذى تعلمته فى بلاد الضوء السـاطع، والألوان الصاخبة، والأشكال الغريبة، يعد تقدمـا فى عملى، سيغدو ملحوظا يوما بعد يوم، وكل هذه المعطيات، تمنحنى زخما جديدا، وتكسبنى حماسة وقوة جديدتين»٠

فى صالون باريس ١٨٤٧، عرض لفرومنـتان ثلاث لوحات، تعرض مشاهد جزائرية، قـدمته بنجاح إلى الجمهور الفرنسى٠٠

لقد بلورت أرض الجزائر العملية الإبداعية والروحية لهذا الفنان، ودفعته إلى معايشة الحالة الروحية للشرق، وتسجـيل كل مظاهر السلوك والعادات والتقاليد، والطقـوس الدينية، والحكمة، وحب الأرض وعـشق الطبيـعة، ووصف حـياة الـقبـائل العربيـة ، فى كتـابيـه:«صيف فى الجـزائر» و«سنة فى

---

*Fromantin E.:Une ete dans le Sahara,Paris,1857,P.28

الساحل» ٠٠ وقد أشار فى هذين الكتابين، إلى سعيه الدائب لاكساب الصورة الشرقية: نبل وقدسية الكتاب المقدس وعظمة العصور القديمة، فعلى سبيل المثال، كان يقارن دائما بين نساء الجزائر وصورة«راحيل فى الكتاب المقدس» ويقارن الراقصة العربية بالليدى ماكبث !

كان فرومنتان دائم الإشادة بعالم الشرق، وبعظمة شعوبه التى استطاعت الحفاظ على جمال الحياة والعادات والتقاليد الموروثة، وتميزت ابداعات هذا الفنان، برهافة الحس، والمعرفة الدقيقة للعنصر الإنسانى وللطبيعة ومتغيراتها، وملاحظة أثر المناخ على السلوك ونمط الحياة خاصة فى الصحراء، وقد سعى إلى تخليد مناظر الطبيعة الجزائرية، كما خلد ماريلا الطبيعة المصرية٠٠

وبدعوة من الخديو إسماعيل، شارك فرومنتان فى احتفالات إفتتاح قناة السويس عام١٨٦٩.*

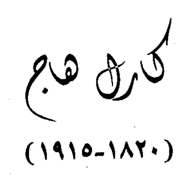
وقدم صورة صادقة متعددة الألوان عن مصر وكان فى أعماقه شاعرا، أكثر منه مصورا٠٠ حتى أنه عندما رحل إلى مصر لم يكن معه أدوات للرسم، وأنما إصطحب معه مفكرة لرصد انطباعاته والتى كانت وبحق أبدع مذكرات سجلها فنان النوبيات٠٠ ومن أشهر لوحاته المصرية «لصوص الخيل فى الصحراء» و«الغروب على شاطئ النيل»و«النوبات على شاطئ النيل»٠٠التى أبرزت قدرته الخارقة على التلاعب بالدرجات اللونية، وهذه المقدرة الفنية أتاحت له وصف أدق الفروق اللونية التى تطرأ على مياة النيل، فهى تارة فى لون الوحل، عسلية اللون رمادية، فضية مخضرة أو زرقاء قاتمة٠٠

وتدل ابداعات فرومنتان على عمق ثقافته وسعة اطلاعه ونزوع إلى الابتكار والتميز، وكان يعشق العزلة ليعيش« خارج الزمان والمكان»٠٠!

ووصف نفسه بأنه:* «ليس رحاله يصوركل ما تقع عليه عيناه، بل هو فنان يرتحل وراءماينبغى تصويره، محاولا التمييز بين الجميل والغريب»٠٠

---

*Thompson J.et Wrigt B.:lavie et L'oeuvre D'Eugene Fromentin,Paris P.254
*Thompson J. et Wrigt B.:Ibid:P.257



(١٨٢٠-١٩١٥)

«الفنان العبـقرى، كارل هاج، بإختـصار شديد هو واحد منا ونحن فـخورين به»٠٠ كان هذا تعـبير الناقد ــ فيبر چاكسون ــ فى العـدد الخاص من«مجلة الفن» البريطانية لعام١٨٨٣، وفى هذا المقال، يضم هاج إلى مدرسـة التصوير الاسـتشراقى البريـطانى، بالرغم من مولده فى «بافيـير» وتكوينه الفرنسى !

أجمع النـقاد على أستـاذية هاج فى فن الرسم بألوان الماء، حـصل على الجنسيـة البريطانيـة، وكان صديقا للعائلة الملكية٠

كان كارل هاج سـعيد الحظ فى طفولتـه، فوالده كان رسامـا هاويا، فإتجهت ميـوله إلى عشق الفن، ومن هذا المنطلق، إسـتقـر رأى العائلة على صـقل موهبـته بـالدراسة، فـتابع مـحاضرات المـدرسة الهندسيـة بمدينة نورمبرج، حـيث إختار الرسم وبعض المواد التـى تتناسب مع ميوله الفنيـة٠ وبعد بضعـة سنوات إلتحق بأكـاديمية الفنون، حتـى أصبح طالبا لامـعا، مما دفع مديـر الأكاديمية «البـير رانيدال» إلى تشجيعه بإسـتمرار وحثه على إكمال دراسته فى ميونيـخ، وعرض عليه أن يمنحه بعثة دراسية، لكن هاج رفض هذا العرض، مفضلا أن يكمل مشواره الفنى بطريقته الخاصة!*

إتجه هاج إلى رسم البـورتريهات الصغـيرة بألوان الماء، وقام بتنفيـذ البعض منها لأصـدقائه، ومن الواضح أن هاج تمتع بذاكـرة لهـا القـدرة على إخـتـزان أدق التـفاصـيل، سـاعـدته على أن يجـعل موضوعاته صـورا تطابق الأصل إلى أبعد الحدود، ثم تتلمذ على يد«كورنيليـوس» بأكاديمية باڤاريا الملكية، الذى حاول أن يوجهه إلى التصويـر التاريخى والذى ينبغى أن يكون هدفا لجميع الفنانين ــ حسبما يعتقد ــ كما تأثر هاج بتصوير الطبيعة فى ابداعات« كارل روتمان» رسام القصر٠٠

---

*Ackerman G.M:Ibid,P138

ويمضى نحو عامين، ونجاحه المذهل كرسام بورتريهات، يصبح عبئا ثقيلا عليه، بعد أن إنهمرت عليه الطلبات، فقرر الرحيل، وقضى شتاءاً فى بلجيكا، بصحبة البارون فيبيرز ولويس جاللى، وفى عام ١٨٤٧ يعبر المانش، فى الموعد المحدد لإفتتاح معرض الربيع للرسم بالألوان المائية، وقرر البقاء فى إنجلترا، مبهورا بالفن الإنجليزى، وإلتحق بالأكاديمية الملكية، وموهبته الفذة كانت مصدر مشاكل لأساتذته٠٠ ! * قام هاج بمساعدة كيميائي بعمل عدة تجارب على أصباغ ألوان الماء، وعرضها لتأثيرات الشمس والأحوال الجوية المختلفة، إنتهت إلى إبتكار تركيبه ألوان تتميز بالمقاومة، وجوهرها الأصباغ المعدنية الصافية، دون إستخدام ألوان الخلفية أو اللون الأبيض الكثيف، متوصلا فى النهاية إلى تقنية سليمة لألوان الماء٠

فى عام ١٨٤٨، كاد أن يواجه حادثا مأساويا، عندما انفجرت قنبلة صغيرة فى يده اليمنى، وبعد إجراء عدة عمليات جراحية ناجحة ومع العناية الفائقة، تمكن مرة أخرى من إستعمال يده، التى كانت شبه مفصولة من الرسغ٠٠ وأثناء فترة النقاهه، واصل جهوده من أجل الحصول على درجات ألوان أكثر ثباتا، وبعد أن تم شفائه، أصبح عضوا بجمعية الرسم بالألوان المائية٠*

نحو عام١٨٥٠، قام هاج برحلة إلى «دالماسيا» و«مونت نيجرو» وخلال إقامه الصيفية فى «تيرول» عام ١٨٥٢ قابل أمير«لاينتجين»ودوق «ساكس كربورج وجوثا» وحدث تقارب ومودة بين الدوق وهاج، إلى أن أصبح رساما فى قصر الدوق، وفيما بعد تفتح له أبواب القصر الملكى البريطانى، عندما قدمه الأمير إلى الملكة أخته غير الشقيقة٠

وفى خريف ١٨٥٣، يتلقى هاج دعوة لتصوير مناظر موسم الصيد فى پالمورال، يعقبها دعوة إلى وندسور فى الشتاء التالى٠ كان إنتاج هاج غزيرا، وأقام عدة معارض بجمعية الرسم بألوان الماء، تضمنت مشاهد من الطبيعة، فى اليونان ودالماسيا وتيرول وپالمورال٠

في عام١٨٥٨، قام هاج برحلة إلى القاهرة وسيناء، والقدس ، كان نتاجها حصيلة هائلة من المعلومات، عن تفاصيل الحياة اليومية وفن الحرب، والزواج والجنازات، وتقاليد البدو وتعليم أبنائهم، والطريقة المتبعة فى تربية الجمال والماعز، حتى يسوقونها إلى سوق المدينة لبيعها، وما يحصلون عليه بالمقايضة، وكيفية نسج أثوابهم وفرشهم، وصناعة الرماح والسيوف وكيفية

---

*Ackerman G.M:Ibid,P.140
*,, ,, :Ibid, P.141

إستعمالها٠٠

فى عام١٨٦٠، عـاد إلى لندن، حامـلا معـه عددا كبـيرا من الاسكتـشات ومـلابس شرقـية وبعض الأثاث٠

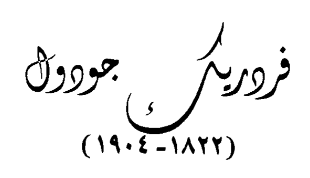
ومعظم اللوحات التى عـرضها بجمعيـة الرسم بألوان الماء، كانت عن الحياة فى الصحـراء، ومشاهد من شوارع القاهرة، ومناظر من القدس، منها لوحتين بناء على طلب خاص من الملكة٠

فى عام١٨٦٦، تزوج هاج، وإشترى دارا فى هامبســتيد، ونفذ ديكورات الطابق العلوى على«الطريقة المصرية» مســتخدما الأرابيسك والطنافس وبعض الأثاثات الشـرقية التى جلبها مـعه فى رحلاته٠٠ وكان يستقبل أصدقائه وزبائنه فى مرسمـه الفخم، والذى ضم ركن للإستقبال، وأنترية مصرى من الأرابيسك المنقوش والمطعم بالأصداف، كذلك كانت الغرف الأخرى وديكوراتها على الطراز الشرقى، مما جعلها مناسبة لكادرات إبداعاته٠٠

فى عام١٨٧٣، عاد إلى مـصر لينعش ذاكرته، حاملا مـعه رسالة توصية من أميـر الغال إلى الخديو إسماعيل الذى إستقبله٠٠٠

فى بعض الأحيان، كان هاج يبدع بعض المناظر ذات المضـمون«الدارمى» مثل٠٠«خطر فى الصحراء» ١٨٧٣، كمـا تناول بعض الموضوعات المتـواضعة نسـبيا، فى تكوينات فنيـة ذات مستـوى رفيع٠٠ وتميـز هاج بتـصـوير الملابس الشـرقيـة المبـرقـشـة٠٠ ودرجات ألوان ضـوء الشـفق على رمـال الصحراء٠٠

فى عام١٨٧٤، حصل هاج على صرح قديم على نهرالراين، أقامت به والدته وأعتبره مقرا صيفيا له، ثم إستقرفيه نهائيا عام١٩٠٣، وبه وافته المنية٠



كان هذا الفنان الشهـير، نموذجا متألقـا لرسام لم يتبع منهجا أكـاديميا، وقد ذاع صيتـه بين الطبقة الارستقـراطية وفى الأوساط الفنية والأدبيـة، والعلمية ، وصفـه أحد النقاد بجريدة الفن البـريطانية بأنه«يعيش تحت شمس دائمة» !

تربى فنيـا على يد والده الحفار«ادوارد جـودول» حيث ترك المدرسـة فى سن مبكرة، وفـرض عليه والده منهاجا قاسيا لتعلم الحفر، كما أصبح على دراية بعلم التشريح، بعد أن اشترى له والده هيكلا عظميا، ولكنه قرر أن يصبح فنانا وليس حفارا!٠٠ وكان يذهب إلى حديقة الحيوانات، ليرسم ماشاء من طيور وحيوانات وهى تتحرك٠٠

وقـد ظل فـردريك يفـخـر بأنـه لم يتلق أى قـدر من التـعليم، سـوى مـاتـلقـاه عن والده٠٠ ونال أخواه:ادوارد، وولترحظا من الشـهرة فى الأوساط الفنية، فى الرابعة عشـرة من عمرة، نال فردريك جائزة جمعية الفنون البريطانية عن رسم لتصميم معمارى٠

ذات يوم، كان يراقب عملية إنشاء نفق تحت نهر التيـمس، فكان شاهدا على حادث مؤلم، ألهمه لوحة بعنوان«العثور على جثة عامل فى ضوء المشاعل» حصل بها على الميدالية الفضية فى معرض جمعية الفنون لعام١٨٣٨٠*

فى نفس العام، توجه مع والده إلى مـقاطعة«الروين» وظل يرسم طوال المسافة التى قطعـها فى نهر السين، متجهين نحو الهافر، واللوحات التى انجزها فى هذه الرحلة، لاقت رواجا، وعرضت إحدها فى الأكاديمية الملكية وعلقت عليها جريدة الفن٠

مضت عدة سنوات، وعاد إلى بريطانيا، بحثـا عن موضوعات جديدة، ثم زار بلاد الغال وايرلندا التى ألهمته«رحيل المهاجرين»٠

*Thornton I.:Ibid, P.155

فى عام١٨٥٢، أنتخب عـضوا بالأكاديمية الملكيـة، وشمله أنصار الفنون والعلوم برعـاياتهم، خاصة: سير ويلز دى ريدليف، والمركيزة دى نسداون وارتبط بصـداقة شارلز ديكنز، ودانيل ماكليز والممثل ويليام ماكريدى وبعض النقاد والفنانين٠

ومع بداية عـام١٨٥٨، بدأ جـودول يشعـر بالقلق، وقـد إسـتغـرقـتـه لوحات المشـاهد الشـعـبيـة والبورتريهات، وهو الذى يطمح إلى تصوير أحداث ومواقف من التاريخ فى كوادر مناسبة٠
وقام برحلته إلى مصر، وهو يفكر فى هذه الحالة «ان هدفى الوحـيد تصوير موضـوعات من التاريخ المقدس»٠*

داڤيد روبرتس، الـفنان والصديق المقرب لجودول، زوده برسـائل توصية قبيل رحـيله إلى القاهرة، وقال له أنه فعل نفس الشئ مع الفنان ريتشارد داد سئ الحظ !
مكث جودول نحو سبعة شهور فى مـصر(١٨٥٨-١٨٥٩) برفقة السير لويس بيللى، الذى كان بالـغ الأعجـاب والإيمان بعبقرية جـودول، وقال:«اننا خلال نزهة واحـدة - على ظهور الحميـر- بشوارع الاسكندرية، رأينا بأكثر مما نطمح من مـشاهد وموضوعات لحياة كـاملة»٠٠ وتأثر جودول بمشهد مدرســة الأطفال ــ الكتاب ــ حـيث يجلس «صـغار الاتراك القرفـصاء على الأرض، يتحلقـون حول مدرسهم المعمم، الجالس متربعا يلقنهم القرآن، والتلاميذ يرددون من بعده آية آية»٠
كذلك وصف فى مـذكراته« الأسبله الرائعـة التى يتزاحم حولهـا جماعـات من الناس، مشهـد شديد الجاذبية» وحدثنا عن نساء مـصر، فقال:«ليست كل النساء محجبـات، وهن يملأن جراتهن ويحملنها على أكتافهن أو رؤوسهن٠٠٠٠ تذكرت حينئذ ما قـرأته عن جمال نساء مصر القديمة٠٠ السقاءون يحملون قربا من الجلد والجمـال أيضا تحمل مثلهم٠٠ كل هؤلاء يشكلون مجمـوعات فى مشاهد لم أكن أحلم بها أبدا» !

«يلزمنى وقت طويل حتي أشـرع فى العمل، للآن لم أستطع أن أتماسك من الدهشــة لهذه المناظر٠٠ أود أن أصرخ من فـرط الإنبهار:مـاهذه الروعة٠٠وهذا الجـمال٠٠ يالها من مـلابس٠٠ ويالهم من أناس٠٠ مشاهد جديرة أن ترسم٠٠ لم أهتم كـثيرا بما قد يعتقده التـرجمان، اننى أصابنى مس من الجنون» !!

---

*Thornton L.:Ibid,P.159

«٠٠ كل ما فى الأمر، أننى ذهلت لكـل هذه المشاهد الجديدة٠٠ المثيرة، لقـد وجدت نفسى على أرض بكر٠٠ متحـررا من كل القيود»وقد يشاركنى القـارئ الرأى، أن دهشة جودول الصادقة، وحـماسة البرئ، لايمكن أبدا أن يكون كاذبا، فانطباعاته عفوية، لاتحتوى أى أثر للضجر أو الفتور٠٠٠

وعن رحلتـه إلى القـاهرة، يقول:«٠٠ ركـبت القطار المتـجـه إلى القاهـرة، والذى وصل فى موعـده، حاولت أن أقوم بعملية مسح لهذه المدينة العجيبة،٠٠ ومن القلعة، شاهدت أروع بانوراما للقاهرة٠٠ أجمل المشاهد التى يمكن أن أتخـيلها، تتراءى أمام عينى بسرعة لاتـصدق، وتنوع لانهائى٠٠ أحاول أن أختـزن كل انطباعـاتى، وأن أثبت هذه المناظر فى ذاكرتى، والتى لا أسـتطيع التعـبيـرعنها إلا فى دفترى، وعمل اسكتشات سريعة لها»

«٠٠استغرقت أسبوعين فى البحث عن منزل أستقر فيه، وقد عثرت على ترجمان، وفر لى قدرا هائلا من الخدمـات والحماية، وفئـة الترجمـانات هذه، يقومون بعـمل كل شئ لمستخـدميهم، مثل تأجـير مسكن وشـراء المؤنة اللازمة وحتى عمليـة طهوالطعام٠٠ وهم فى سلوكـهم ملتزمون ومتـحفظون، لأنهم فى نهاية خدمتهم، فى حاجة إلى شهادة من مستخدمهم، تمكنهم من الإلتحاق بخدمة آخر»٠

ومن المرجح أن هذا التـرجمان، قـد ساعد جـودول فى أن يتعلم قـدرا من الكلمات العـربية، وأن يلم بشئ من آداب وتقـاليـد الشعب المصـرى خـلال زيارته تلك، والمنزل الذى إسـتـأجره، كـان بالحى القبطى، بالقرب من حديقة الأزبكية، وهذه المنطقة المفـعمة بالحياة، وفرت ثروة من المشاهد التى فتن بهـا جودول٠٠نسـاء متـشـحات باللون الأزرق أو الأسـود، من رؤوسهـن حتي أعـقابهن، خـانات ووكالات مزدحمة، أسواق صاخبة، مواكب أعراس بلا نهاية٠٠ وقد تصادف أن إلتقى صديقه الفنان كارل هاج:«٠٠خرجت ذات يوم قـبل تناول طعام الأفطار كالمعتـاد٠٠ آه٠٠ من أرى؟ صديقى كارل هاج٠٠ لقد أبدى سـرورا عظيما، عندمـا رأى سكان الحى الذى أقطن فيه، وطلـبت منه أن يشاركنى الإقـامة فى مـسكنى٠٠ وكنا كل صبـاح: نقوم بـنزهة خلال شـوارع القاهرة، على ظهـور الجيـاد، فنستمتع بصـفاء السماء وروعة الجو وطبـيعة تشع بالنضارة، كما قمنا بـجولتين خارج القاهرة٠٠ صديقى كارل هاج دائم الحديث عن الرحيل إلى القدس٠

لقد أبدع جودول، وهو الذى عايش روح الشرق، فخلد لنا مشاهد من الحياة المصرية الشرقية، برؤية جمالية، فيها مزيج من الرومانسية والواقعية٠

لويجي ماير

(روما ١٧٥٥- لندن ١٨٠٣)

تنحدر عـائلة ماير من أصل جيـرماني، وأقدم مـرجع لحياة هذا الفنان، عـثرعليه بمكتـبة«ديكريتي» بأكاديمـية SANLUCA، ويسجل هذا الكتاب، أن الرسـام لويجي مـاير «الروماني» قد حصل على جائزة إحدى مسابقات الرسم التي نظمت في عام ١٧٧١٠

صحب ماير في عام ١٧٧٦، الدبلوماسي البريطاني: سـير روبرت اينسلي، إلى مدينة القسطنطينية، الذي يتولى منصب القنصل البريطاني العام في سنة ١٧٩٤٠ وكان السير اينسلي على درجة رفيعة من الذكاء والثقافة والاستنارة ومن هواة جمع الآثار، فاسـتخدم ماير كرسام وناسخ، وشجعه على القيام بعدة رحلات، يجوب خلالها ربوع الإمبراطورية العثمانية، أثمرت حصيلة ضخمة من اللوحات بالألوان المائية٠ *

زار الفنان مـاير، بلاد اليونان، والبلقـان، وآسيا الصـغرى، وسـوريا وفلسطين، ومصـر، وأفريقـيا الشمالية. وقد أبدع في تصوير شواهد الحضارات القديمة، وأبرز المعالم، ومشاهد من البيئة الطبيعية والبحرية، ومن الحياة اليومية، وجسد حيوية الشرقيين: عرب، أتراك، شوام، بدو٠٠

وقد طبعت مجمـوعات ماير، طباعة حجرية، في لندن فيـما بين عامي ١٨٠١و ١٨١٠، وعقب وفاته، واصلت زوجة «كـلارا» متابعة النـشر، وفي عام ١٨٠٩، عرض السـير اينسلي مجـموعته الخـاصة للبيع عدد كـبير من لوحات ماير، تتـصدر مجموعـة«سيرايث دي فيكتوريا» ومـتحف«البرت» بلندن وكتب الفن الاستشراقي، ومـؤلفات«جوليو فيراريو» عن العادات والتقـاليد المتوارثة والأزياء القديمة والحديثة لشعـوب الشرق، والتي نشرت مابين عام ١٨١٦ وعام ١٨٣٢، كـذلك كتابه الذي صدر في ميـلانو سنة ١٨٣١ بعنوان:«وصف فلسطين في قـصص الاناجيـل» الذي حاول فـيه:ربط الحقـائق العلمية بالملاحظات التصويرية٠

---

*Luigi Mayer: Views in Egypt, London,1804

واللوحات الاستشراقية لمايركانت تستحوذ على إهتمام علماء الآثار، وقد تزامن نشرها مع حملة نابوليون، ونهب وتهريب كنوز الفراعنة إلى أوروبا·

رافق ماير صديقة السير اينسلى إلى انجلترا، عقب إنتهاء مهمته فى القسطنطينية، واذا لم يكن ماير الفنان الوحيد الذى إرتحل وأبدع فى الامبراطورية العثمانية — فى نهاية القرن الثامن عشر — فهو بلا شك، أغزرهم إنتاجا وأعماله أكثر جاذبية وشهرة·

جيوسيبى انجيليلى

(١٨٠٣-١٨٤٦)

درس انجـيليلى بأكـاديمية الـفنون الجمـيلة فى فلورنسـا، قـبل أن ينضم إلى«البـعثـة الفـرنسيـة التوسكانية «الشهيرةعام ١٨٢٨، والتى ضمت العبقرى«شامبوليون»٠٠

وبحكم عمله كـرسام، لعالم المصريات الفلـورنسى«ايبوليتو روسـيللينى» فقد أنجز ألف وأربعـمائة لوحة، خـلال ركوبهم النـيل، صاعدين إلـى النوبة، صور فـيها كـثيـرا من شواهد حـضارة مـصر الفرعونية، وقام بحفر أربعمائة عمل من إبداعـاته، ضمها كتاب روسيللينى:«آثار مصر والنوبة»الذى نشر فيما بين عامى ١٨٣٢و ١٨٤٤ فى ثلاثة أجزاء٠

ولوحته الشهيرة النادرة، التى تمثل مجموعة الرحلة«البعثة الفرنسية التوسكانية الأدبية*» بين أطلال طيبة، وتشغل حـاليا الدرج الكبير لمتحف الآثار بفلورنسا، وتجمـع بين الكلاسيكية الجديدة والمذهب الطبيعى، وتعكس رغبة انجيليلى فى تخليد هذه الرحلة، والمشاركين فيها ومهمتهم العلمية٠

يتوسط هذه اللوحـة، عالم المصـريات العبقـرى«ج٠ف٠ شامبـوليون»قائدا للمـجموعـة، ومن خلفه، روسيليـنى وأخيه المهندس المعـمارى«جـيتانو»وشـيخ مصـرى ظهره نحـو المشاهد، بينمـا الرسام الفرنسـى«الكسندرديـشيزن» مسـترخيا فـى أقصى اليسار، لوحـة صغيـرة وصندوق الألوان المائية بجانبه أما أفراد البعثة الثمانيـة الآخرون فهم: لورو، بيرتان، الطبيب ريتشى سلڤادورى شيريبينى، بيبينت، نـيستور لاهرت، جيـوسيبى داوى، وانجيليلى الرزين٠٠ وفى وسط المقـدمة: بعض الكنوز الأثرية التى عثر عليهـا خلال عمليات التنقيب التى قامت بها البعثـة، واللون الوردى ينشر اشراقاته على الصحراء، وأشجار النخيل تمتد حتى الأفق، فيما وراء معابد طيبة٠

وقد شـاهد العالم الألمانى«ريتـشارد ليـبسيـوس» هذه اللوحة بعـد إنجازها فى الأتيليـة الفلورنسـى لانجيـليلى عام١٨٣٦، والتى بلغ مـقاســها:٣٠ر٢× ٤٧ر٣ أمـا اللوحات التـحضـيرية التى أعـدها

*Ackerman G.M.:Les orientalistes de l'Ecole Italienne, Paris,1988,P.19

انجيليللى لأبحاث روسيلينى، فقد وصلت إلى عدد من هواة المجموعات فى فلورنسا، وكان روسيلينى قد خصص فصلا من كتابه شرح فيه منهج العمل الذى إتبعه انجيليللى، والاسلوب الفنى المتميز لهذا الفنان ، كما تحدث عن الألوان التى إستخدمها المصريون القدماء، فى نقوش جدران المقابر والمعابد.

جيمس تيسو

(نانت ١٨٣٦ـ بيلون ١٩٠٢)

بالرغم من أن تيسو قد ولد ودفن فى فرنسا، إلا أنه كان محبا للبريطانيين ومتحيزا لهم مدى حياته٠

عقب حصار باريس عام١٨٧١، كان تيسو لاجئا فى إنجلترا، وقد بدأ بتقليد التراث الفولكلورى للمدرسة البريطانية، حتى برع فى هذا الفن، ثم أبدع مجموعتين من الصور المستوحاه من قصص«العهد القديم» فكانت هذه«المشاهد التوراتية لتيسو» احدى العلامات البارزة فى الفن الاستشراقى البريطانى حتى أطلق عليها «توراة تيسو»!*

نشأ تيسو فى عائلة موسرة، حرصت منذ البداية أن ينال تعليما راقيا لكنه عندما بلغ العشرين من عمره، أصبح طالبا بمدرسة الفنون الجميلة بباريس ويمارس نشاطه الفنى — فى الوقت ذاته — فى أتيليه هيبوليت فلاندرين ولويس لاموث٠

التقى مع «ويستلر» بمتحف اللوفر، حيث كان كلاهما ينسخان إبداعات «انجر» ، وعن طريق ويستلر، كان يلتقى بمجموعة الفنانين الانجلو — أميركان بالعاصمة الفرنسية، وربما بدافع من اعجابه بهذه المجموعة تسمى باسم انجليزى «جيمس» !

وتوطدت أواصر الصداقة بين تيسو وعدد كبير من الفنانين، منهم:ديجا (الذى رسم له صورة شخصية) والفريد ستيفنس البلجيكى ، مانيه، كوربيه، لوجرو ميرسون، وجيروم ٠٠

خلال تلك المرحلة، وخارج هذه الدائرة كانت لوحاته الأولى تخضع لتأثيرات الأسلوب التفصيلى الممل للبارون«لايس» المتخصص فى مناظرالعصور الوسطى، التى كانت موضع اعجاب تيسو٠٠

واللوحات التى عرضت لتيسو فى الصالونات البارسية، كانت تمثل مشاهدا من روايتى«فاوست»و«مارجريت»٠٠ متبعا نصائح جيروم بأن يتجه لرسم البورتريهات والمشاهد

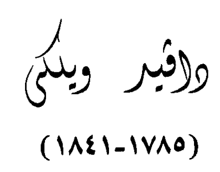
*Thornton : Ibid,P.205

القصصية الأكثر حيوية ٠

ولمع نجم تيســو فى فن البورتريه، إلى أن إندلعت الحرب الفـرنسية الروسيـة، ومكث بباريس طوال فتـرة الحصار، وانخـرط فى صفوف الحرس الـوطنى، ولم يعد إلى لندن، إلا بعد أن رفع الحـصار، ويبدو أنه لم يزاول أى نشــاط سياسى ســواء ملكى أو ثورى، طالما أنه كان يســتطيع أن يتردد على باريس بكل حرية ودون أن يخشى الإعتقال !

فى عام ١٨٧٣، كــان تيســو قد بدأ يشارك فى بعض مــجالات الحـياة الاجتـماعيـة فى لندن، وعلى الصعيد الفنى، بدأت لوحاته التى تمثل مشاهدا شعـبية من التراث الانجليزى فى الظهور، وقد منحها طابعا فرنسيا أضفى عليها قيمة خاصة ٠

فى تلك الفـترة، حقـقت بعض هذه اللوحـات شهرة، مـنها(Too Early) ١٨٧٣ و(Hush) ١٨٧٥ و(The Letter) ١٨٧٦، التى تمثلت فيهابراعـته المتميزة فى استخـدام التداخل بين اللون والضوء، ورؤية تمزج الشاعرية والواقعيـة، تؤكد أن للفن عالمه الخاص واستقلاليتـه عما يدور من جدل حول الدين والاخلاق والفلسفة والسياسة ٠٠ !



(١٧٨٥-١٨٤١)

لمْ يحظ هذا الفنان البريطانى، بالتـقدير والإهتمام الكافى من مـعاصريه وادرجت أعمـاله فى مرتبة أقل من التـصوير الشـعبى٠٠ وإذا أدرنا ظهـورنا قليلا عـن أعظم لحظات التاريخ، لنتـفرغ لبـعض مشـاهد من الحيـاة اليوميـة، نجد أن ويلكى قـد مهد الطريق لأجـيال من فنانى التـصوير الشـعبى البريطانى، الذين قلدوا أسلوبه٠

موهبة ويكلى وعبـقريته، لم تصقلها الدراسة والإعداد الجـيد ٠ والده كان راعيا بمقاطعة «فيـفشير» ألحقه بمدرسة إبتدائيـة محلية، رحل إلى «ايديمبرج» فى الرابعة عشرة من عمـرة، حيث سجل نفسه بأكاديمية «تريسـتيز» التى تأسست بهدف إعـداد رسامين صناعيين غير أن أستـاذه«جون جراهام» وجهـه نحـو الإبداع الفنى، وفقـا لمناهج الأكاديميـة الملكيـة البريطانيـة، مع بعض الإستـثناءات، لأن «اسكتلندا المتحفظة لم تكن تسمح برسم العرايا» !

حاول ويلكى أن يتغلب على هذه العقبة، برسم بورتريهـات لوجوه فى إنفعالات متنوعة، وكان يرسم نفسه أمام المرآه، فى أوضاع مختلفـة ، كأنما أراد أن يقتدى بالفنان العظيم «رمبرانت» الذى إتبع هذا الأسلوب! أتقن ويلكى فنون الحفر أيضـا، وعندما عاد إلى كالتز، بدأ فى إعداد مجـموعة من المشاهد الشعـبيـة، بأسلوب «تينييـر» الصغيـر، ونال شهـرته بعد عـرض مناظر من حياة الـقرويات، وباع لوحـتـه«جمـال بتليـسى» بمبلغ ٢٥ جنيـهـا اسـترليـنيا، فى عـام ١٨٠٤، وتوجـه إلى لندن بهـذه «الثروة»المحدودة !

مجموعـته التى عرضت فى لندن، وضعتـه فى مصاف «تينيير» الذى يقارن به دائمـا، غير أن بعض النقاد شهدوا له بالتفوق على قدوته، بتنوع المشاهد وعمق وحرارة المشاعر٠٠

فى عـام ١٨٢٠، نال شرفـاً ملكياً، عندمـا إختـاره "جورج الرابع" ليكون رسـام القصـر الملكى فى

اسكتلندا.

موضوعاته الجاده التى إستلهمها من قصص الكتاب المقدس، لم تلق نجاحا كالذى حققته لوحه "مشهد من قريه» التى رسمها فى كالتز مستخدماً موديلات غير محترفات.

كان ويلكى يرفض دائما هذا النوع من الموديلات، وحركاتهم الآليه المحفوظه، حتى فى لندن ، كان يحصل على بغيته من الطريق ويبدأ موضوعاته دائماً ، برسم الاشخاص أولاً، على قماش أبيض، وبعد أن ينتهى منها تماماً يعود إلى خلفية الموضوع. .

قضى ويلكى حين من الدهر فى اسكتلندا، مساهما فى حركة التجديد القومى، فى مستهل القرن التاسع عشر، التى ساعدت على إزكائها روايات سير والتر سكوت .

أظهرت بعض إبداعات ويلكى، تأثيرات المشاعر العاطفيه ، بشكل يكاد أن ينطق . . واصل ويلكى نجاحه كمصور مجدد، وقام بعدة زيارات لمتحف اللوفر، وأعجب إعجاباً شديداً بأعمال "روبنز" وحرية فرشاته.

فى عام ١٨٢٥ تدهورت صحته، وزاد الأمر سوءاً، سلسلة من الوفيات العائلية. . فقرر القيام بجوله فى ربوع أوروبا.

توجه أولاً إلى إيطاليا ، ليتمتع برؤية إبداعات فنانى عصرالنهضة، إتجاهه للواقعيه، جعله لم يتأثر بتجديدات الفنانين الألمان فى الموضوعات الدينيه بالاضافة إلى التعاليم البروتستانتيه التى يدين لها، كانت ترفض التعبيه للأساليب الكاثوليكيه!

ثم رحل إلى أسبانيا، وفى ذلك العصر، لم تكن الرحله إليها بالأمر اليسير ، وانبهر وتأثر بأعمال العباقره: ميريللو وفالاسكويز. . ولاحظ أن إسبانيا بلاد مجهولة لكثير من معاصريه من الفنانين، وأثنى كثيراً على جمال طبيعتها وسحرها الأخاذ، مما شجع كل من دافيد روبرتس وفردريك لويس على زيارتها . . الأفكار الجديده دائما تلح على ذهن ويلكى ، لكنه لم يذهب لزيارة المغرب كما فعل روبرتس ولويس. فى طريق عودته، توقف فى باريس للقاء الفنان العظيم "ديلاكروا" وعرض عليه لوحاته التى أنجزها فى إسبانيا، وفى رساله إلى أحد أصدقائه ، سرد ديلاكروا تفاصيل هذه الزيارة ، معبراً عن رأيه: " إننى فى غاية الدهشة ، بعد رؤية هذه الصور، وانى لأتساءل كيف لفنان يتمتع بهذه العبقريه، وبقدر كبير من الإحترام الجدير به ، أن يتأثر إلى هذه الدرجة، بأعمال تختلف تماماً، عن اسلوبه الخاص "!

بعـد إستقـراره فى لندن، وضح فى أعـماله الجـديده، إنبهـاره بأعمـال الأساتذه التى شـاهدها فى المتاحف الأوروبيه، منهم : موريللو، لوكوريج، فانديك وروبينز. .

وقد لاقت موضوعاته الإسبانيه نجاحاً رائعاً ، فى معرض الأكاديميه الملكية بلندن عام ١٨٢٨، حتى أن الملك إشتـرى منها خمـس لوحات، ثم أصدر فى العـام التالى، مرسـوما ملكيـاً بتعيـينه: الرسام الخاص للملك .

وولتر تشارلز هورسلى

١٨٥٥ - ١٩٣٠

تمثلت أبرز ابداعات هورسلى فى تصـوير المشاهد الشعـبيه والبورتريه، وقـد شكل الموتيف الشرقى فى أعماله، جزئاً حيوياً فى مفهومه للوحه التشكيليه الرومانسية.

وقد صقلت موهبة هورسلى فى مرسم والـده:رسام التاريخ ج . س . هورسلى، ودرس بالآكاديميه الملكيه البريطانيه، التى منحته الميداليه الفضيه فى فن البورتريه.

أول لوحه عرضت لـه بمعرض الاكاديميه الملكيـه السنوى عام١٨٧٥ ، وفى نفس العام، عـمل رساماً بالجرافيك، وأرسل الى الهند، فى حـاشية أمير الغال، مكلفـاً بعمل تحقيقات مـصوره لهذه الزيارة .

وفى الهند طلب منه "باهواب باهاوالبور" أن يرسم له مجموعة من مناظر الصيد .

وكان لزاماً عليه أن يرسم طوال جولاته، وقد أتاحت له هذه الرحله، زيارة مصر مرتين .

تشكلت القدرات الإبداعيه لهورسلى فى عصر "الواقـعية الجميلة" وتزود بمعنى عميق لملكة الفكاهة، وكان لتنوع المشـاهد وغزارتها دور فى إزدهار إبداعاتـه، التى تألق فيها نزوع واضح نحـو تصوير أنماط الحياه الشرقيه، التى لم يألفها الغرب .

وفى عام ١٨٧٧، عـرضت له عدة لوحـات بمعرض الأكـاديميـه الملكيه، وفى عـام١٨٧٩، عرضت له لوحتان عن القاهرة، ألحقت بمجموعة هندية من المحتمل أنه قام برحلة جديدة إلى مصر، عقب عودته من الهند

وبالرغم من إيثاره اساسـا للموضوعات الهنديه، إلا أن مـعظم إبداعاته، خلال العشـرسنوات التاليه، كان مستلهماً من مصر، وعن الحياه القاهرية بصفة خاصة .

وهذه المشـاهذ القاهرية، إرتكزت على تصـورات استـشرقيـة تقارن بين المـوروث الثقافى الـشرقى والثقافة الغربية .

وعلى سبيل المـثال، رسم هورسلى لوحة لفرقـة موسيقيـة نحاسيه، يرتدون زيهم الخـاص الجميل، تميزه الســتره الحمراء المتـألقة، الموشاه بالذهب والتى تتـباين ألوانها مع خليط من الألوان المبـرقشه

الصارخـه للملابس الشـرقيـه الفخـمه، مع الملابس الممـزقة للجـمع الغفيـر الواقف على الجانـبين ، تستـعرض هذه الفرقـة فنونها فى شوارع القـاهرة ، يتقدمـهما رئيســها، سائراً مـرفوع الرأس فى خيلاء، تبدو عليه سمات الجد، غير مبال ببعض تنافر الاصوات !

وقد إهتم هورسلى برسم بعض المسـلمين، وهم يؤدون الصلاة ، فى طقوســها البسيطة، أحـياناً فى أماكن قد تبـدو – غير لائقة – للعيـون الأوروبية ، على سبيل المثال، بين بطاريات المدفـعيه على متن بارجة حـربية، أو على ظهر إحـدى مراكب الشركـات السياحـيه، بين دهشة بعض الســائحين الذين راحو يتأملون هذ المشهد !

وأول لوحة فى مـجموعـته الهنديه – كانت تمـثل إحدى الأخوات المتـصدقات تقـدم الماء لأحد طالبى الصدقه، وقد خارت قواه ، وكان هذا التصرف النبيل سـبباً فى فضيحه . . لأنها أمسكت الإناء بيدها اليسرى!

ولوحته الشـهيره: "In Time of Need" التى تصور فتاه تبيع حليـها إلى صاحب حانوت، تعد موضــوعاً فيكتـورياً شائعاً فى الفن الاوروبى ، وبالرعم من تحليـه بروح مرحه، إلا أنه كـان شديد الجديه فى مرسمه، ملتزما بين زملائه، دقيق الملاحظه، جـمع فى شخصيته الفنية الروح الرومانسية والفكر الواقعى ، والتنوع والتجديد فى المعالجة الإبدعية للمعطيات الجمالية للشرق .

(بومبيو ماريانى)

(١٨٥٧_١٩٢٧)

فى المعـرض الدولى بروما عـام ١٨٨٣، عرض ماريـانى أكثر من عـشرين لوحـة بالألوان الزيتـية، قسمت إلى ثلاث مجموعات، بعنوان: «ذكـريات الشرق»و«على النيل» و٠٠«ذكرياتى الستة عشر عن مصر»٠٠ أشاد بهـا الناقد بيلترونى بقوله«لقد جـسدت أصالة الروح المصريةالحقيـقية»٠٠مع بداية عام ١٨٨١، أبحر ماريانى إلى بريندیزى مع بعض رفاقه، ومنها استقلوا باخرة نمساوية فى طريقها إلى الاسكندرية، وفى ديسمبر عام ١٨٨٢، نشر تحقيق بجريدة(L'illustrazione Italiana) عن هذه الرحلة، مدعمـا بأحد عشر اسكتشا عن شـمال أفريقيا، وورد فيـه أن ماريانى بمجرد أن وطأت قدمـاه أرض المرفأ، بدأ فى رسـمه كروكـيا، ثم إنصـرف متجـولا فى شوارع المدينة، حـاملا أدوات الرسم وصندوق الألوان، فأثار فـضول المارة ودعاه صـيدلى يونانى للدخول إلى صـيدليته، فـوجد نفسه

فى مواجهة أحد الأتراك ضخم الجثة، يطلب منه أن يرسم له صورة شخصية !٠٠

ومن بين اللوحـات التى نشرت بالجـريدة، عدة موضـوعات عن القـاهرة وضواحـيها، منهـا مشـهد لأشجار البرتقال فى العباسية، ومشهد لقوافل الحجيج العائدة من مكه، و مشهد لصناعة الفخار٠٠ توجه مـاريانى لزيارة متـحف بولاق للآثار، لمشاهدة مـومياوات الفـراعنة وآخر انجـازات اوجست مارييت، وتوجـه إلى الأهرامات، إلى قمة الـعظمة الفرعونيـة كما وصفـها٠* وفى شـهـر ابريل لعام١٨٨٢، اضطر للعـودة إلى إيطاليا، بسب مرض أصاب عـينيه، وعقب عودته، عكف فى مـرسمه على إنجاز لوحـاته المصرية، وعـرضها فى رومـاونيس، وباع عدد كـبير منهـاإلى هواة المجمـوعات وبعض الفنانين الإيطاليين٠ وكانت رحلته إلى مـصر، مرحلة هامة وحاسمة فى حـياته وفنه، توجها

*Diehl ch.:La Peinture Orientaliste en Italie,La revue de L'art ancien et Modern,paris,1906 PP.27-28

بحصــوله على جائزة«فوماجــاللى» للتصوير وفى عــام ١٨٨٤، نال جائزة «برنسيب امبــيرتو» وفى العام التالى، حصل على الميدالية الذهبية لصالون باريس.

حققت أعمال ممارياني نجــاحا ملحوظا في ليفربول وميونخ، وألقى محاضــرات فى تصوير الطبيعة وأكاديمية بريرا بميلانو.

وكان قد أنجز وهو فى الثلاثين من عمره مجمــوعة من المناظر البحرية المستوحاه من سواحل جنوه، ولتلك المشاهد جاذبية خاصة عندَ ماريانى في تلك المرحلة .

تميزت لوحاته بالأسلوب التــأثيرى، فكان شديد الإهتمام بتأثيــر الضوء في مشاهد الطبيعــة الريفية، حيث اكتشف أن الألوان المضيئة تضفى نضارة وبريقا متجددا للمشهد، كذلك اشتهر مارياني بالحفر بماء الفـضة، وأهم لوحــاته المصــرية: مــقابر الخلفــاء، ومــشاهد للنيــل والجوامع والمزارات، ضــمن مجموعة «لومازى» فى بورديچيرا.

(والتر تيندال)

(١٨٥٥-١٩٤٣)

مع نهاية القرن التاسع عشر، كان والتر فردريك تيندال واحدا من أشهر الفنانين المستشرقين، الذين تخصصوا فى الموضوعات المصرية، وقد تمتعت ابداعاته عن القاهرة الإسلامية بشهرة فائقة، بما بلغته من دقة التصوير وسحر أسر وجاذبية متفردة، وقد ألهمته القاهرة بحياتها اليومية الحافلة بمشاهد بسطاء الناس، والحركة الصاخبة فى الشوارع والطرقات والأسواق وإبراز عظمة العمارة الإسلامية، فأجاد مايمكن أن نسميه عملية توثيق فنى للقاهرة ووادى النيل بصفة عامة، فى ذلك العصر٠*

كان لتيندال أسلوبه الفنى المتميز، الواضح، يمزج بين الأضواء والظلال فى براعة، مع دقة التفاصيل وبهجة ألوان متألقة غزيرة، وحاسة عجيبة فى إختيار الألوان، فيبدو جليا من دقة إختياراته، أنه لا يريد إختبارحقيقة مشاعرنا، ولكنها طبيعته٠٠

ولد تيندال فى بلجيكا، من أبوين بريطانيين، إمتدت إقامتهما فى هذه الدولة ، والده كان محاميا، فى سن الخامسة عشرة، التحق بأكاديمية «بريج»٠٠ غير أن الحرب الفرنسية البروسية، كانت سببا فى قطع دراسته، بعدما أجبر والديه على العودة إلى إنجلترا، ليستقروا فى«بيرث» وفى السنوات التالية، كانت ملامح التكوين الفنى لوالتر، قد بدأت تتبلور نسبيا وفى عام ١٨٤٧، إلتحق بأكاديمية «انڤير» عندما عادت عائلته لتستقر فى بلجيكا مرة أخرى٠

الطلبه الأجانب بهذه الأكاديمية، اشتهروا بعدم الإنضباط والإلتزام بإستثناء تيندال، الذى حاز الميدالية الفضية فى نهاية السنة الأولى، تقديرا لاجتهاده وتميزه الفنى — غير أنه لم يكمل العام الدراسى الثانى، إذ لم يستطع مقاومة إغراء الدراسة فى باريس٠

وفى باريس، إلتحق بأتيليه الفنان المستشرق«ليون بونات» الذى كان أحد رموز الواقعية٠٠ فى

Ackerman G.M.:les orientalis tes de l, Ecole Britannique, paris,1990,P. 368

عام١٨٦٨، كان ضمن المجموعة التى قادها الفنان «جان ليون جيروم» وزاروا وادى النيل وسيناء وسوريا، وأثمرت هذه الرحلة، مجموعة رائعة من ابداعات تيندال٠

وهكذا دخل تيندال دائرة المستشرقين الفرنسيين*، وقد كان للاسكتشات والقصص التى احضرها معه بونات من مصر، تأثيرا على أحاسيس تيندال وتنمية حبه للمغامرة، وقام بجولة فى باريس، مع قدامى الطلبة بأكاديمية انڤير، وتحت إشراف الفنان البلجيكى الشهير«جان فان بيرز» الذى أقام بالعاصمة الفرنسية زمنا٠٠٠

اتسمت الأعمال الفنية الأكاديمية لتيندال بالواقعية، وضحت فيها تأثيرات التعليم الأكاديمى وتدوينه لملاحظاته عن الطبيعة، وان إحتفظ بشخصيته وأسلوبه الخاص، الذى تباين مع أعمال أشهر الواقعيين: مانيه وكوربيه وباستيان لوباج٠٠ويروى عنه أنه كان يدرس جيدا، وبدقة عجيبة، ألوان المشهد قبل أن يبدعه، كما تميز بتنوع موضوعاته المختارة بعناية متخلصا من الإتهام الموجه إلى الواقعيين بأنهم «لايختارون» موضوعاتهم !

فى عام ١٨٧٨، عاد إلى إنجلترا، واشتهر كرسام بورترية، نظرا للنجاح الذى حققه برسم صورة توفى صاحبها، فتوالت عليه الطلبات، لرسم أشخاص من صور فوتوغرافية بعد وفاتهم، هذه «العادة الجنائزية»٠٠ كما أطلق عليها، بالإضافة إلى المحاضرات الخاصة، أفائت عليه أرباحا، أهلته لأن يتزوج عام ١٨٨٣٠

فى صيف ١٨٩٣، ظل يمارس الرسم بألوان الماء، مع تلميذته الرسامة «هيلين الينجهام» حتى برع فى هذا الفن، ثم قضى أجازة فى طنجه ١٨٩٤-١٨٩٥ أنجز خلالها عددا من لوحات ألوان الماء، غاية فى الرقة، حتى أن مسئولى معرض«دودى زويل جاليرى» لندن، طلبوا منه أن يرحل إلى مصر وإبداع ستين مشهدا عنها٠*

فى ابريل ١٨٩٧ ، وصل تيندال إلى القاهرة، ليقضى عامين بمصر، وشهور الصيف منهما قضاها فى لبنان وسوريا، ومع الفنان«هنرى سامبسون» قضى سبعة أسابيع بمدينة رشيد، والتى رآى فيها سامبسون أنها أكثر الأماكن مثالية لإقامة فنان فى مصر، وهى التى تأثرت بالتحديث والتطوير الذى شمل الاسكندرية فى عهد محمد على وخلفائه٠

*Hautecoeur L.:La Litterature et Peintres voyageurs 1828-1908,Paris,1983,P.166
* Ibid: PP168

واجه تيندال بعض الصعوبات، مثل ازعاج الأطفال والمتطفلين وبعض المتشددين الذين يحرمون رسم الأشخاص٠٠ فى شهر رمضان، حدث أن احتج عليه شاب، إحتجاجا مقزعا، لدخول إحدى بائعات الفاكهة إلى مرسمه، تطورت إلى مشادة عنيفة نتج عنها إصابة تيندال ببعض الكدمات، فأبلغ الشرطة، ويحبس هذا الشاب ستة عشر يوما٠

وروى تيندال أنه كان جالسا — ذات يوم — فى حانوت، يرسم بوابة أحد الجوامع فى مواجهته، فإجتذب انتباهه موكب عرس، رجال فوق صهوات الجياد، وفرقة موسيقية على ظهور الحمير، أطفال فى ثياب جديدة، وجمال مزينه، والبعض يتبارزون بالعصى، والعروس تحت مظلة حريرية حمراء، يحف بها نساء محجبات يطلقن الزغاريد٠٠ وبذل قصارى جهده فى أن يختزن تفاصيل عديدة فى ذاكرته، مما إضطره إلى التوقف عن الرسم فى هذا اليوم !

ويغلب على مشاهد القاهرة التى أبدعها تيندال، تصوير أشهر معالم العمارة الإسلامية*، جوامع وأسبله، ومناظر داخلية لها، وبعض الأضرحة ، وشوارع وأسواق، تميزت بواقعية التفاصيل، وتناغم الألوان التى تخيرها بعناية، وإحترامه لفن العمارة، جعل من هذه المعالم التى رسمها قيمة فينة، أكثر من كونها مجرد ديكورات، والأسوار الهائلة أستخدمت كدعامات لتفاصيل محددة غير مرهقة، وتمازج الضوء والظل فى الواقع، ساعده على ألا يقع فى إشكالية التكوينات الآلية المتشابهة !

فى عام ١٨٩٨، أنجز عددا من اللوحات، أرسل بها إلى بريطانيا، أقيم لها معرض خاص فى لندن، وفضل أن يبقى فى الشرق الأوسط حتى ابريل ١٨٩٩، وزار فى طريق عودته جزيرة صقلية، وفى يونيو من نفس العام، أقام معرضه الخاص الثانى، بعنوان:«القاهرة — القدس — صقلية»٠٠

فى عام ١٩٠٠، قام برحلة إلى إيطاليا، أثمرت عن مجموعة لوحات تثمل أشهر الأسواق الإيطالية، وفى البندقية إلتقى بالفنان«سامبسون» مرة أخرى٠٠ وفى عام ١٩٠٥، عاوده الحنين إلى القاهرة، ليبقى فيها معظم السنوات الخمس التالية٠٠ وبصحبة صديقه سامبسون يصعدا النيل، بدعوة من أسرة إنجليزية، فى دهبيتها الخاصة، فأمضيا ثلاثة شهور فى بلاد النوبة ، ثم انحدرا مع النهر، وتوقفا بمدينة الأقصر، نحو ثلاثة أسابيع، ليعود إليها فى العام التالى، وينسخ النقوش البارزة لمعبد الدير البحرى الشهير، ويبعث بها إلى متحف« المتروبوليتان» بنيويورك،ومتاحف تورنتو وادينبرج،

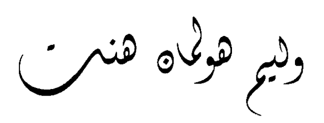
---

* Ibid: PP.169-170

أيضا نشط فى نسخ نقـوش معبد سـيتى الأول ومعبـد إدفو، وكان وعالم المصـريات«آرثر ويجال» يعيشـان بين هذه الاطلال ــ بتصريح خاص ــ وينامـا أعلى معبد إدفو، هـربا من الحرارة الشديدة داخل أبهاء المعبد وقد تسبب ارتفاع الحرارة والأتربة، فى إصابتـهما بالتهاب رئوى، إستدعى نقلهما إلى مسـتشفى الإرسـالية بأسـيوط، ثم عودتهـما إلى إنجلتـرا، ولكنهما فى فـصل الشتـاء عادا إلى الأقصر مرة أخرى !

والأعمـال التى أبدعها تيندال فى تلك الفـترة، شكلت محـورا هاما فى كتـابيه، الأول« مصر، مـابعد الشلالات» ١٩٠٧ والـثانى«فنان فى مـصر»* ١٩١٢، ونصوص هذين الكتـابين، تتضمن انطبـاعاته الذاتية من خلال جولاته بمدينة القـاهرة، ووصف لمواقع أثرية بطول ضفاف النيل، وبعض القصص المسلية . واستمتع تيندال بـالدهبيات الفاخرة الخاصة بأصدقائه الأثرياء، وكـان من اليسير أن يعود إلى إنجلترا خلال فصـول الصيف٠٠وقام برحلة مع صديقه«ويجال» من مدينة قـوص إلى القصير، عبر الصـحراء الشرقية، مستخدمين الطريق الوعر المعروف منذ عهود الفراعنة٠

*Tindal W.:Artest in Egypt, London,1912



هو أحـد رواد مذهب«قـبل الرفائيليـة ــ Preraphaelisme الذى اعـتنقـه بعض الفنانين الإنجليـز بهدف تجديد الفن البريطانى بتقليد الفنانيين السابقين علـى رفائيل٠٠ وتركز اهتمامهم على استلهام الموضوعات الدينية التاريخية٠٠

وقد افتتح هنت الطريق بلوحته الشهيرة:

«Christ and the Two Maries» واستمـر فى هذا الإتجاه، بانجاز عدد من اللوحـات التى تمجد تاريخ الكنيسة الكلاسيكى فى بريطانيا٠٠ مع نقده الضمنى للاكليروس !

وقد بلغ ذروه إبداعاته فى هذه المجموعة بلوحة

«The Light of the World» التى تظهـر المسـيح فى الليل، ممسـكا بقنديل، يطرق أحـد الأبواب المغطى بحشائش برية٠٠ فى مزج يثير الدهشة بين الواقعية والرومانسية المفرطة٠٠ !

عندما رأى «توماس كارليل» هذه الـلوحة جاهزة للعرض فى مرسم هنت، سأله ساخـرا عما إذا كان يعتقـد حقا بأن المسيـح كان يتنقل وهو يرتدى زيا مضحكا كـهذا«ملابس قسـيس وتاج مذهب على رأسه، وعلق عـلى صدره هذا النوع من الحلى» !٠٠ هذه اللوحـة أصبحت الايـقونة البروتسـتانتـية الكبرى فى هذا القـرن٠٠ كما أصبـحت مصدر ثراء لهنت! استـثمر هنت جزءا من حـصيلة بيع هذه اللوحة، وخصص ماتبقى لتمويـل رحلة إلى الشرق، وقد وصف فى سيرته الذاتية، هذه الرحلة التى فرضتـها الرغبة فى زيارة الشرق ومعـايشته والكشف عن الغموض، واسـتكناه أسرار أزمنة الكتب المقدسة٠

وكتب عن انطباعاته بمجرد أن وطأت قدميه أرض مصر:

«٠٠ فجـأة أدركت كيفـية الافلات من زيف الحيـاة الحضارية المصطنعـة٠٠ فالطبيـعة تهب نفســها بجمالها البكر، البسيط ٠٠والحياة تبدو وكأنها تخلق من جديد» !

ويضيف قائلا:«٠٠ لم أكن أطمح لتصوير مصر الحديثة، مـاشاهدته ودرسته فيها، لم يكن إلا لتنقية

ماتعلمناه من التاريخ القديم٠٠ فجميع العادات الموروثة، من جيل إلى جيل، والأزياء٠٠ والذوق الإنسانى٠٠ كلها مهددة بالإنقراض٠٠ ربما فات الإوان على مقدرة أحد الأجيال، على إعادة تشكيل الماضى٠٠ الذى قد نلمس بعض مظاهره فى حياة الريف والصحراء»٠

ورأيه فى الأهرام:«أنها كتل كريهة المنظر، شيدت بأقل درجات الروعة» !

وتمثل لوحته:«The Lantern Maker,s Courtship» حدثا كان هو شاهد عيان له بأحد شوارع القاهرة٠٠ فكتب فى مذكراته:«لقد حاول أحد الحرفيين كشف وجه خطيبته المحجبة، ويعتبر هذا العمل ــ كشف الحجاب ــ خطأ لايغتفر، والفم والذقن هما أقصى مايسمح الأدب والتقاليد برؤيتهما٠٠ وهذه الواقعة ترمز إلى الخير الإنسانى، وفى رأيى أنه مبدأ طيب»

ثم واجه هنت مشاكل جم، فى محاولته العثور على فتاة تصلح موديلا للوحته«The After Glowing Egypt» ويأس من الحصول عليها ، فتوجه مع صديق له إلى أحد المواخير، آملا أن يجد إحدى البغايا التى تقبل الوقوف أمام رسام٠ ولكنه عبر عن هذا الموقف بقوله«يبدو أن البغايا قد وقع عليهن الاختيار، لإظهار الجانب القبيح المنفر للرذيلة على وجوههن طريقة حكيمة يمكن أن تلاقى نجاحا٠٠ ويبدو أننى سأعمل بها»!

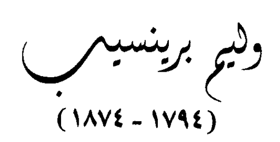
وكان هنت نقد إلتقى صديقه الفنان«توماس سيدون» الذى سبقه فى الرحيل إلى القاهرة٠٠ فكان أكبر همومه، شعوره بأن صديقه سيدون«أصبح من الأهالى» فقد بدأ فى تعلم اللغة العربية وتزيا بملابس شرقية !

وأقام مع صديقه معسكرا بالقرب من الجيزة، وهربا من العواصف، إنتقل هنت للإقامة فى أحد فنادق المدينة٠٠ وكان سيدون يستثيره بتهريجه وقصصه ونوادره٠٠ إلا أن معرفته بقدر من اللغة العربية، أفادت هنت فى التغلب على الصعوبات التى واجهها٠

وعندما وصل هنت إلى القدس، إصطدم بنفس المشاكل التى واجهها فى القاهرة، عندما أراد البحث عن موديلات يهوديات للوحته:

٠«The Finding of the Saviour in the Temple»

فالتقاليد الدينية تحرم على النساء الوقوف كموديلات، ولما صار هدفه معروفا حرص الحاخامات على التشدد فى منع قبول أبناء الطائفة لما ينشده هنت٠٠بل وتحريم مجالسته فى اجتماعاتهم !



(١٧٩٤ - ١٨٧٤)

كان مستر "جون" والد الفنان وليم برينسيب، واحدا من قيادات "الشركة الهنديه الشرقية" . . ومؤسس تجارة " النيله" مع الهند . إستقر في مدينة كلكتا سنة ١٧٧١ ، حيث كون ثروة ، ساعدته فى تنشئة أولاده البالغ عددهم أحد عشر طفلا . . اشتهر منهم أربعة كرسامين بالألوان المائية، وقد توارثت الاجيال التاليه لهذه العائلة، القدرات الفنية، فكان أبرزهم الحفيد "فالنتين كاميرون برينسيب" تلميذ واتس، الذى ذاعت شهرته فى نهاية العهد الفيكتورى.
فى كلكتا، تلقى وليم برينسيب، دروسا فى الرسم بألوان الماء ، على يد الفنان البريطانى "جورج تشينرى" الذى إستقر بالهند منذ عام ١٨٠٢ حتى عام ١٨٢٥ .وكان لتشينرى شهرته كرسام بورتريه بألوان الزيت، كما صدرت له عدة ألبومات، تمثل مشاهد من البيئة الطبيعيه للهند .وإلتحق برينسيب بشركة "بالمرو" . .وتقدم باستقالته عام ١٨٣٠، ليعمل فى مجالات التجارة الحره والبنوك. وفى غضون إثنتا عشر عاماً، جمع ثروة هائلة ، ثم غادر الهند عائداً إلى انجلترمن بومباى، أبحر برينسيب على متن إحدى بواخر شركة (T.coke) متجهاً إلى السويس ، فى أول يناير سنة ١٨٤٢ ، لم يدون أية يوميات خلال رحلته، لكنه رسم العديد من الاسكتشات عن انطباعاته الذاتيه لعرضها على أفراد عائلته وأصدقائه . .

وتجدر الإشاره، الى أن ميناء عدن بمدخل البحر الاحمر، أصبح محطة هامة للمسافرين، وعقب الإحتلال البريطانى عام ١٨٣٨، أقامت السلطات الانجليزيه فيه مستودعاً للفحم، على الطريق إلى الهند، كما تزودت المدينة بعدة فنادق جيده، وبعد أن تتزود البواخر بالفحم، تواصل رحلتها فى البحر الاحمر، للتزود مرة أخرى فى مدينة القصير المصرية .

ومن السويس، يتجه المسافرون إلى القاهرة عن طريق الصحراء فى عربات تجرها الخيول، أو على

ظهور الحمير أو الجـياد، وبعد إقامة قصيرة بالقاهرة، يتـوجه المسافرون إلى الاسكندرية عن طريق النيل ، ومنها يستقلون باخرة شركة (Dando) فى رحلتها الشهرية الى انجلترا.

ومن المعروف أن ميناء عدن، يقع فى حوض بركان قديم، والطبيعة الساحره للمدينة، وجبل "شمس – هان" الذى يحتضن المدينه، كل ذلك دفع برينسيب إلى إنجاز العديد من المشاهد المتنوعه عنها . .

برينسيب ورفاقـه المحبون للمغامـرات، أجمعوا أمرهم على زيارة وادى الـنيل، وقضاء بعض الوقت بالقاهرة، فغادورا البـاخرة فى ميناء القصير ورحلوا إلى "طيبة" التى تبـعد عن الساحل نحو ٢٠٠ ك/م والطريق من القـصيـر إلى وادى النيل، يرجع تاريخـه الى عصـور الفـراعنه، حيث أسـهم هذا لطريق فى إستغلال ثروات الجبال، كما أصبح طريقاً للمواصلات الرومانيه، ويضم بعضاً من أطلال مواقع رومانيه وآبار مهـجورة. وغالباً ماكانت تستخدم الجمـال لاجتياز هذا الطريق الوعر، والرحلة كانت تستغرق نحو تسـعة أيام ، فالطريق ملىء بالنتؤات الصخريه، كما كبد مـجموعة من برينسيب كثير من المشاق، وقـد أنجز برينسيب سبع لوحات، لهذا الممر الجبلى وللقـافله عندما إتخذت طريقها فى الصحراء، وبعد أن غادرت المنطقة الجبليـه، وكان شاهداً لحفل عرس فى بلدة "لقط" سجله فى إحدى لوحاته، وأبدع لوحته "أول منظر للنيل" بعد خمسة أيام من مغادرته القصير .

لم يكن برينسيب ومـجموعته، شهـوداً فحسب على تباين اللون الازرق، السـماوى الخلاب المنعكس على صفحة الماء، بل أيضاً تلك الخضرة اليانعة التى تكسو ضفتى النيل فى عمق الوادى، مشهد رائع دائماً فى إنتظار الزائر . . أو الفنان !

أقام برينسيب لفترة أطول فى الأقصر،أبدع خـلالها العديد من المشاهد الرائعة لأطلال ومعابد المدينة ، سواء منهـا ما يتراءى خلف الحـقول الخضـراء أو تلك التى تحتضنهـا الصحراء، كـذلك خلد أيضاً زيارته لوادى الملوك .

بعد ذلك، إسـتقلت هذه المجمـوعة "دهبيه" انحـدرت بها مع النيل ورسم برينسـيب مشهدين لمعـبد دندره، أحدهما داخلى والاخر خارجى، عندما كانت الرمال تغطيه إلى منتصفه تقريباً .

وخلال إقامـة قصيرة بمدينة أسـيوط، زار منطقة المقابر، وصور مـشهداً لعدد من الأسـرى: ضحايا تجارة الرقيق !

وفى بنى سويف ، رسم سـوق المدينه فى عدة مشـاهد، وفى موقع "منفيس" الـقديمه . . إستـحوذ على إعجابه، تمثـال ضخم لرمسيس الثانى، قـد تم تنظيفه من الطين والأتربه، فثـبت هذا المشـهد فى واحدة من أروع اعماله !

القاهرة ثرية بمعطياتهـا الحضاريه، فكانت فردوساً لرسامى الألوان المائيـة، فرسم برينسيب مناظر من شوارع القـاهرة، وبعض من أسواقـها، ومسـاجدها . . كمـا زار الجيـزة، ورسم الأهرام وسوق المدينه . . .

ومن بين اللوحات الطريفه التى أبدعها برينسيب عدة مشاهد لأحد حمامات القاهرة، بداية من عرض واجهتـه على الطريق، إلى طقوس الاستحمام الـتى تؤدى بداخله، ثم الإسترخاء بغرفة الإسـتراحة، وبرينسيب نفسه يبدو ممدداً، وملفوفاً فى عدة مناشف ينتظر قهوته !

أوريللي، جيوسيبي

(روما ١٨٥٨ - انزيو ١٩٢٩)

لوحـات تمثل تاريخ ايطاليـا، وبورتريهات لـلعائله المالكه الايـطالية، كـانت سبـبـا في زيوع شهـرة "جيوسيبي" بالاضافة الى الكثير من لوحـات بالالوان المائية، لمشاهد شرقية: عن الحريم، والجرس، والاسواق العـربية، والمدهش أنه لم يقم بأى رحلة الي الشرق ! . . ولكن مـثل الكثير من معـاصريه، إستلـهم ابداعاته من الوثائق الغـزيرة المزودة باللوحات والصـور الفوتوغـرافيـة، وكتابات الـرحالة والمؤلفـات الاستشـراقيـه وحكايات ألف ليله وليلة التى غـزت اوروبا في النصف الثاني مـن القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين .

درس "أورييللي" في أكـاديميـة " SAN LUCA " * حيث تتلمـذ علي يد "سيزار مـاكاري" و "بترو جايا رينى" . .

كـان يعرض دائمـا في روما، وتيـران، وبولونيـا بين عام ١٨٨٣ ، ١٩٠٧ ، وشـارك في باريس في المعرض العالمي لعام ١٨٨٩ وفي صالونات ١٨٩١ ، ١٨٩٣ ، ١٨٩٧ .

وعرض أيضا لوحـات من التاريخ في المعرض الدولي لعام ١٨٨٨في ميـونيخ، والمعرض العالمي في شيكاغو لعام ١٨٩٣ .

أما بالنسبة للوحاته التي يرسمهـا بالألوان المائية عن مناظر الشرق، نادراً ما كانت تعرض نظرًا لأن هواة المجموعات من الأوروبيين والأمريكيين كانوا يشترونها بمجرد أن ينتهي من رسمها* . . !

إحدي اللوحات بعنوان "شرقي" عرضت في معـرض الفنون الجميلة السبعين في عام ١٩٠٠ . ولما كان مـرسمـه يقع فى شارع مارجـوتارقم٤٨،كان "أوريللى" يستطيع أن يتـبادل الافكار مع بعض الرسامين المستشرقين ذوى الانتاج الغزير فى روما.

فكان يسلك نفس السلم الـضيق، الذى يؤدى دائمـا الى مجـموعة مـن المراسم المتشـابهة "أقـفاص

*Ackerman G.M:les orientalistes de L'Ecole Italienne,Paris,1988,P.20
* Ibid: PP.169-170

الأرانب" مثل "نازاريـنو كيبـرياني" و "فيليـبو بارتيليني"، و "انريكو تارينجـي"، ورسام الكتب "ايتوري اكزيمينيس"

ويطغي على التـركـيب الفني لابداعـات أوريللي: الموتيـفـات الشرقـيـة التي تحـقق له تناغم الالوان وتداعياتها مع الضوء والظل، فـقد كان شغوفاً بفنون الأرابيسك والسيـراميك ، أغطية جلود الفهود، الأزياء الشرقية، نباتات المناطق الدافئة والتي كان يحتفظ ببعضـها في أوان زجاجيه بمرسمه الخاص !

وبعض من إبداعات أوريللي تعـرض في المعرض القومي للفن الحـديث وكذلك في (L'Aula del Consiglio Provinciale) في روما، ومتحفَ جاليري لندن . .

ولكن معظم لوحاته الاستشراقية تتضمنها مجموعات خاصة .

وليم جيمس مولر

(بريستول ١٨١٢ - لندن ١٨٤٥)

نال "مولر" شـهرة محدودة فى حـياته، فقـد أعقب مباشـرة الفنان " تيرنر" فى تصوير مـشاهد الطبيعـه، فلم يكن معروفاً إلا فى أوسـاط هواة المجموعات الفنيـة، وتتناثر أعماله فى كـثير من هذه المجموعات، حيث بات من الصعب حصرها !

وقد حظـي بشهرته المحـدوده – في عصـره – عن إبداعاته بالألوان الزيتـيه التي تصـور مناظر من الحياه المصريه، عرضها فيما بين عامي ١٨٣٩ – ١٨٤٣ .

ولد مولر بمدينة بريستول في عائلة موسرة ، علي درجـة من الاهتمام بالعلم والثقافة . وكان والده مهاجراً من بروسيا، شـجعه علي رسم مشاهد الطبيعه، ومحاكاة آثار مـتحف بريستول، وعندما بلغ الثانية عشرة من عمره تعهده رسام مغمور يدعي "ج . بيني" وأحرز مولر تقدماً ملموساً، لكنه فقد والده في التاسعة عشر ، وتولت أمه رعايته، وأصبح يتكسب من رسمه لمشاهد الطبيعه . *

ثم إرتبط مولر بصداقات مع معظم فناني مدرسة بريستول، ومع أعضاء جمعيات الرسم المحليه. في عام ١٨٣٤، قام بجولة طويلة بين ربوع أوروبا، بدأت بالرحيـل إلي بلجيكا، ثم سويسرا، وإنتهت في إيطاليا أنجـز خلالها العديد من اللوحـات بألوان الزيت والماء، والاسلوب الفني لهذه المجمـوعة، تأثر كثيرا باسلوب "ك . ستينفليد" و "تيرنر" .

أولي لوحاته التي عـرضت بالاكاديمية الملكيـه "انهيار كـوبرى لندن العتيق" كـانت في عام ١٨٣٣، وبالرغم من هذه البداية اللندنيـة ،إلا أنه عاد إلي بريستول، حيـث كان راغباً في تدعيم شـهرته قبل

*Thornton L: Ibid,P.154

الإستقرار في العاصمة البريطانية .

"مولر" و "دافيد روبرتس" تزامن حضورهما إلى مصر في سنة ١٨٣٨،* وإن كانت رحلة روبرتس أطول وأشمل، كما أن مولر كان يتنقل في ظروف مرفهه إلي حد ما، إلتقيا بالقاهرة في يناير ١٨٣٩، بعد أن أتم كلاهما رحلة في النيل، وكانت بينهما رسائل متبادله .

كان روبرتس يتباهى بأنه أول فنان بريطاني زار مصر، مستقلا عن بعثات دراسة الآثار والتنقيب عنها، ولم يمهل القدر— مولر— عمرا كافيا للمطالبة بشرف ما، كان روبرتس يكبره بنحو خمسة عشر عاما، وقد واصل رحلته إلى فلسطين وسوريا٠ فأنجز الكثير من إبداعاته الاستشراقية، ومنها ما أبدعه من مخزون ذكرياته٠

وبالرغم من حب مولر للمغامرة، إلا أنه لم تتوافر لديه الامكانيات ليرحل فى قافلة عبر سيناء إلى القدس٠

*Ballantine J.The Life of David Roberts, Edinburgh,1886,P.101

(بروسبير ماريلا)

(١٨١١ـ ١٨٤٨)

فى معرض صـالون باريس عام ١٨٣٤، كتب الأديب المستشـرق: تيوفيل جوتييه٠٠«لقـد حققت لى لوحات ماريلا، صورة أحلامى عن الشرق، وفيها شعرت باننى وجدت وطنى الحقيقى»٠

درس ماريلا فى أتيـليه فنان ايطالى مـغمور«فـالنتين» سبق له زيارة الشـرق، ثم انتقل إلى مـتحف الفنان روكبلان المـغرم بالشرقيات، وشـاءت الصدفة وحدها أن تحمـل ماريلا إلى الشرق،* فـــفى عام١٨٣١ أتى عالم النبات الالمانى البارون«فون هيجل» إلى متحف روكيلان، بحثا عن رسام يرافقه فى رحلته إلى الشرق، ووقع إختـياره على ماريلا، واستغرقت هذه الرحلة نحـو عامين، طاف خلالها بمصر وفلسطين ولبنان وسوريا، متنقلا فى خيمة أينما حل، وسـجل معالم الطبيعة الشرقية وأنماط الحياة ومظاهرها: الجغرافية والتاريخية والحيوانية والنباتية٠٠٠

ثم حدث أن اختلف مـاريلا مع العالم الالمانى، فكان فراق بينهما، وظل عـدة شهور بالاسكندرية، إلى أن التـقى الفنان«بريس دافن» وارتحـلا معـا إلى صعـيد مـصر، لتـسـجيل مـابقى من روائع فنون الفراعنة٠٠

ارتبطت شهرة ماريلا بمصر خاصة، وكـان يذيل لوحاته دائما باسم«ماريلا المصرى»٠٠ وقد حاول دائما، أن يجسد فى لوحاته الشرق الرومانسى الحـالم، مصدر الالهام والإبداع، وقد كتب فى احدى رسائله:«فى اليـونان آثار رائعة، قد لانجـد لها مثـيلا فى مصر ولكن الـناس فى مصر أكثـر روعة، مازالت تتوافر فيهم تلك الشـخصيات والصور التى أبدعت فى فن النحت المصرى القديم»

وفى رسالة أخرى، أشار ماريلا إلى التأثير الهائل الذى تركته فى نفسه، المساجد فى مصر، وتماثلها مع الطرز المعـمارية للكنيـسة القـوطية*٠٠ وهذا يؤكد ولع الفنانـين الرومانسيين، بتـصوير المنائر والجوامع والاسبله وغيرها، مما يتجاوب مع الأفكار الجمالية للذوق الرومانسـى٠٠

*Ackerman G.M:Ibid.PP.34-35
*Carre J.M:Ibid:vol 2,P.115

من أبرز ابداعات ماريلا، لوحة«شارع فى القاهرة» التى تجلت فيـها كل أنواع العمارة الإسلامية، فى وحدة بنائية متناسقة ومتكاملة، وحركة الحياة المتـمثلة فى مجموعات البشر والحيوانات والأشجار، وتمازج الضوء والظلال فى مهارة واحساس مرهف بأدق التفاصيل المعمارية وإبراز فخامتها·

وبراعة ماريلا وعـبقريته الفذة، تتـجلى فى لوحته الشهـيرة«مشهد من مـيدان بالقاهرة»·· المنارات السامـقة التى ترتفع إلى السمـاء فى شموخ وبيـوت شرقيـة تزينها الزخارف الإسـلامية الفخـمة، وأشجـار باسقـة، ووحدة المشـهد تجسـد إندماج الواقع بالخـيال وتبـرز شاعـرية المدينة وواقعـها اليومى·

كـتب ماريلا فـى يوميـاته:*«ترى حـدة المتضـادات فى القاهرة بالذات، فـهناك، يذوب كل شىء فى إنسجام المنظر الغريب، الاضرحة والمساجد والبساتين والنخيل·· والنيل الذى يبعث بألفة الحياة فى الصحـراء والأنماط المتعددة للمبـانى·· الأزقة الضيقـة حيث يحتشـد الناس·· تراكم ذرات الرمال فوق آلاف المآذن، التى تزينها زخارف إسلامية دقيقـة·· بلا شك أن هذا المشهد المدهش يحفز حمية الفنان»·

فى لوحـته«اطلال مـسجـد الحاكم فى القـاهرة»·· تمثل بقايا منـارة المسجـد والجدران والأعـمدة الضخـمة، وسـماء ذات تدرجات لونيـة متعـددة، وسكون يدعو إلى التـأمل، وهدوء يمثل ذلك المكان الصحـراوى وايقاع بطئ لحـركة الأفراد·· وتعـد هذه اللوحة، نقلة جـديدة فى نظرته الفنيـة لعالم الشرق··

وتجدر الإشارة إلى أن الفن الفرنسى، فى مرحلة ما قبل مـاريلا، لم يعرف الطبيعة الروحية للشرق، فالمشـاعر الذاتيـة لهذا الفنان العظيم، أضـفت على الفن الاستـشراقى لونا من الرومـانسيـة الجذابة المؤثرة، فلوحاته المصرية بالتحديد، كانت إنعكاسا لروحه الشـفافة وهو ينشد الحياة المثالية وشكلت أشجـارالنخيل والجـوامع والاسبلة والشـوارع والجمـال والأزياء الشرقـية الموضوع الرئيـسى فى إبداعاته··

لقد بدأ مـاريلا بالشرق وإنتـهى به، وترك لنا إبداعات مـفعمـة بالشاعـرية والشفافـية والموسـيقى اللونية·· فـبدت كحلم آت من بعيـد يسرق البصر من بين خطوط وإشـارات، حملتها التـداعيات من عوالم سحرية غامضة !

*Hautecoeur L,:Ibid:P.97

ببليوجرافيا

****

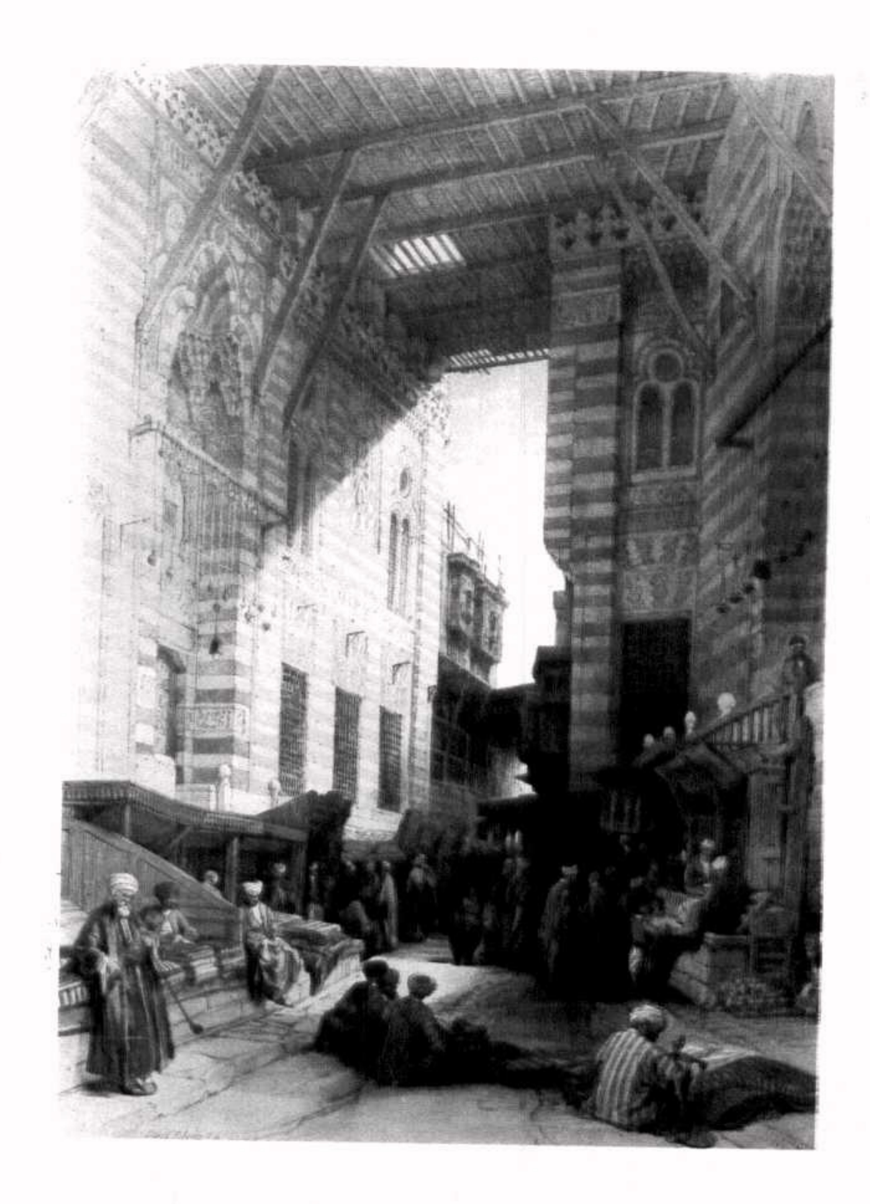
1 Carre J.M: Voyageurs et ecrivains Francais en Egypte, IFAO, Le caire, 1932,2 Vols,
2 Diehl ch.: La Peinture Orientaliste en Italie au Temps de La Renaissance, La Revue de L' art ancien et Moderne, Paris,1906
3 Fromentin E: une ete dans le Sahara, Paris, 1857
" " :Les Lettres de Jeunesse, Paris 1909.
4 Gerald M.Ackerman: Les Orientqlises de L, ecole Britqnnique,ACR edition 1990.
5 " " " :Les orientalistes de L,Ecole italienne.
6 Hautecoeur L.: La Litterature et Peinture en France de XVII au xix Siecle,, Paris 1963
7 Lynne Thornton: Les Orintalistes, Peintres Voyageurs 1828- 1908 Paris, 1983
8 Thompson J. et Wrigt B,: La Vie et L, oeuvre D,Eugene Fromentin, Paris, 1987
٩ـ د٠ اوارد سعيد: الاستشراق، المعرفة السلطة الإنشاء، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت ١٩٨٠٠
١٠ـ د٠ زينات بيطار: الاستشراق فى الفن الرومانسى الفرنسى، عالم المعرفة ١٥٧، ١٩٩٢٠



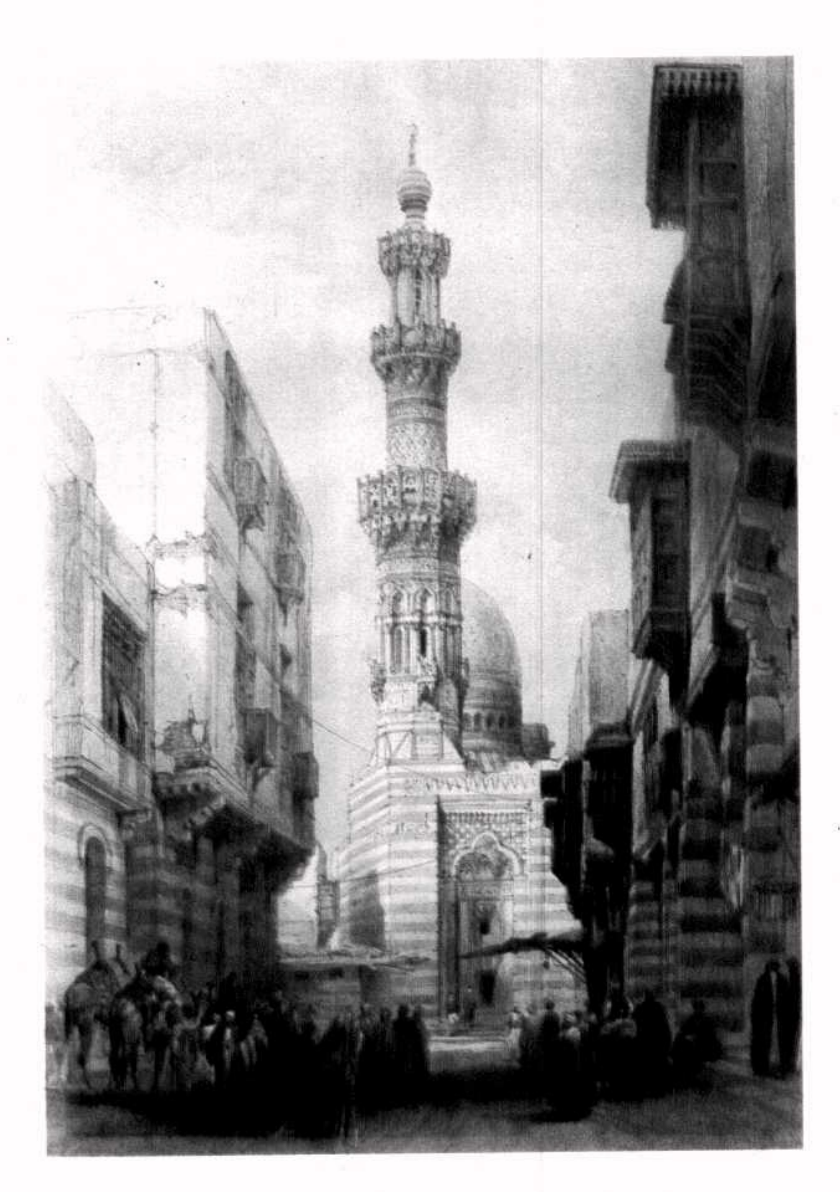
دافيد روبرتس: باب زويلة ومنارتا جامع المؤيد شيخ



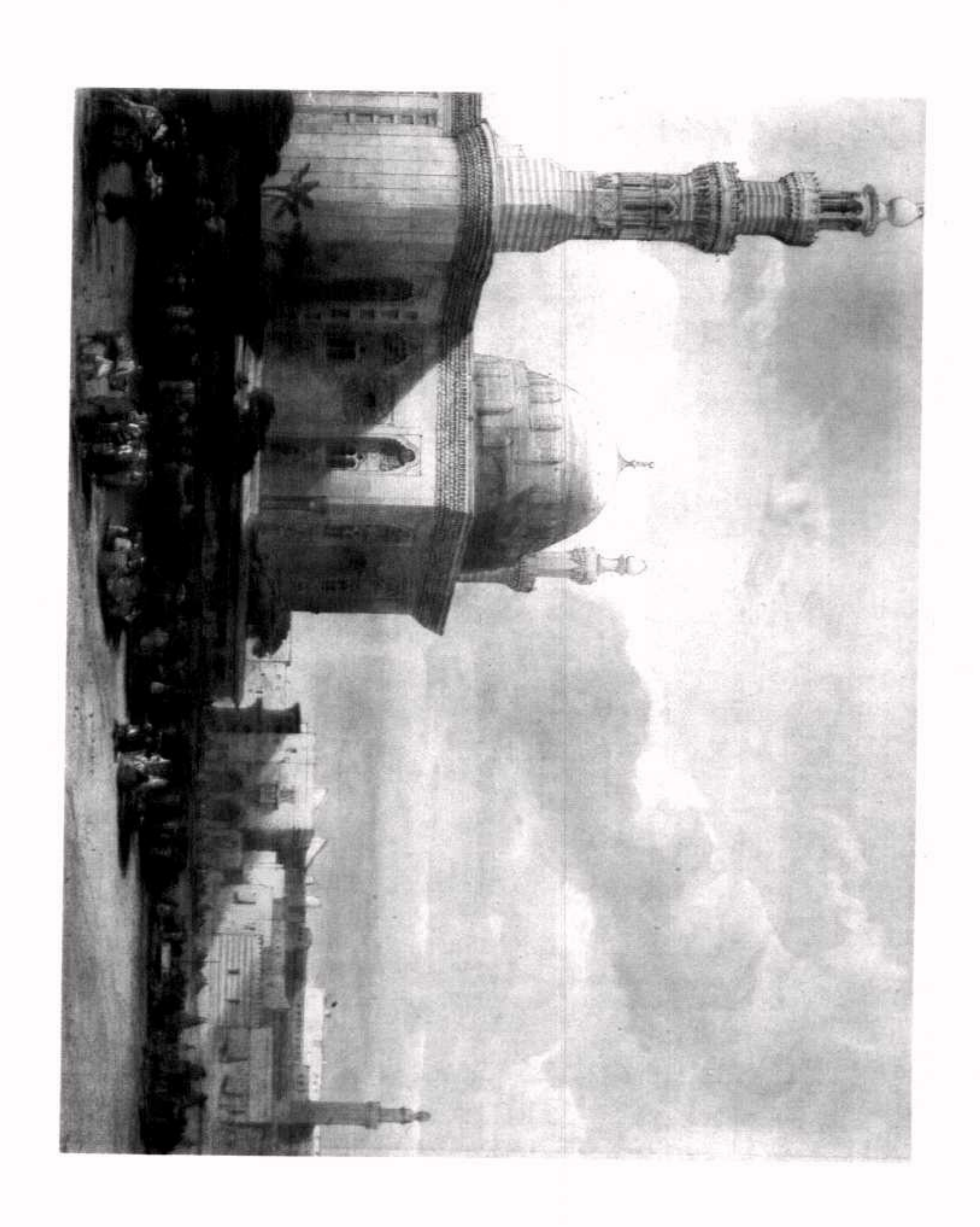
دافيد روبرتس: المدخل الرئيسى لجامع السلطان حسن

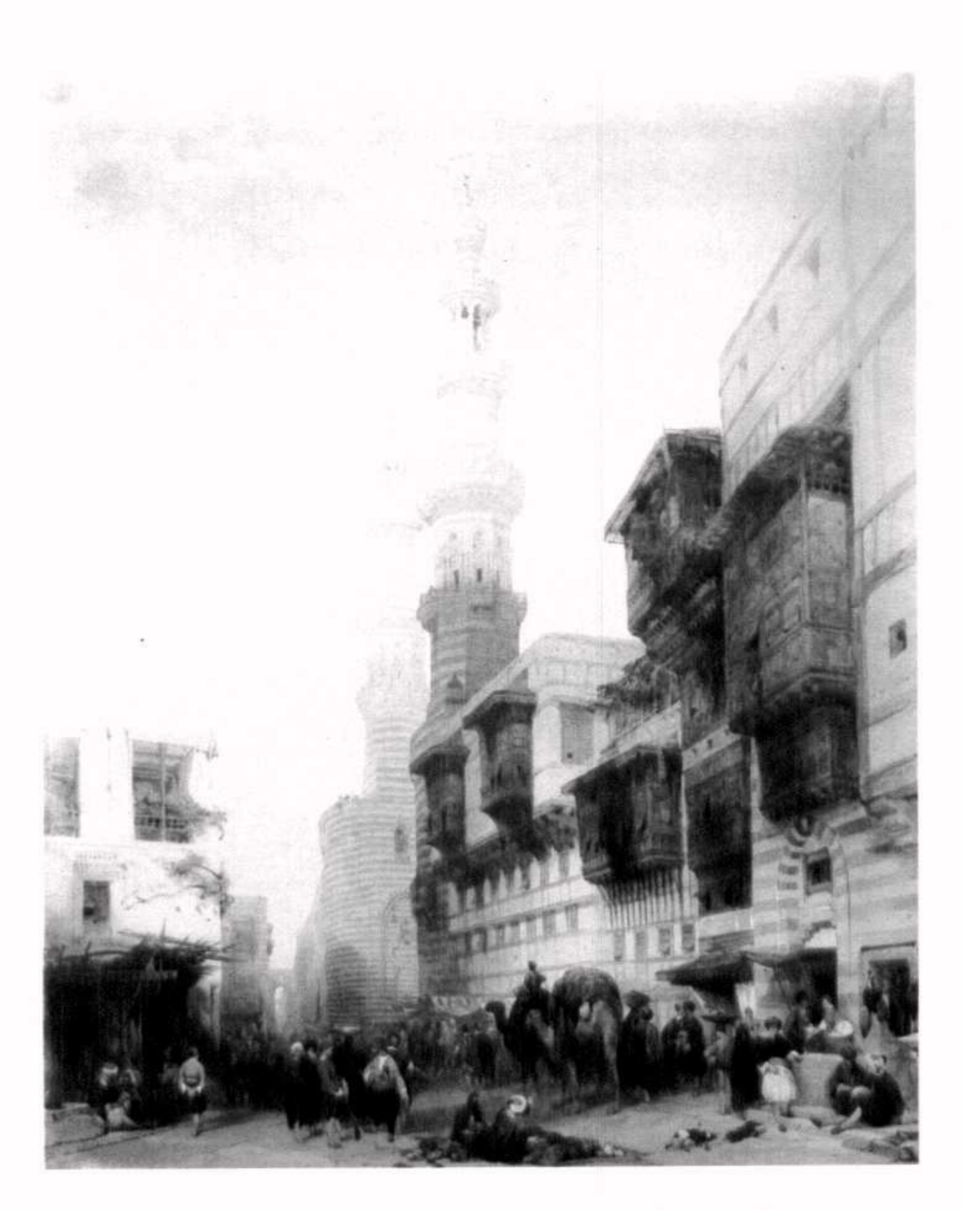


دافيد روبرتس: سوق الحرير بالغورية وجانب من قبة وجامع السلطان الغورى

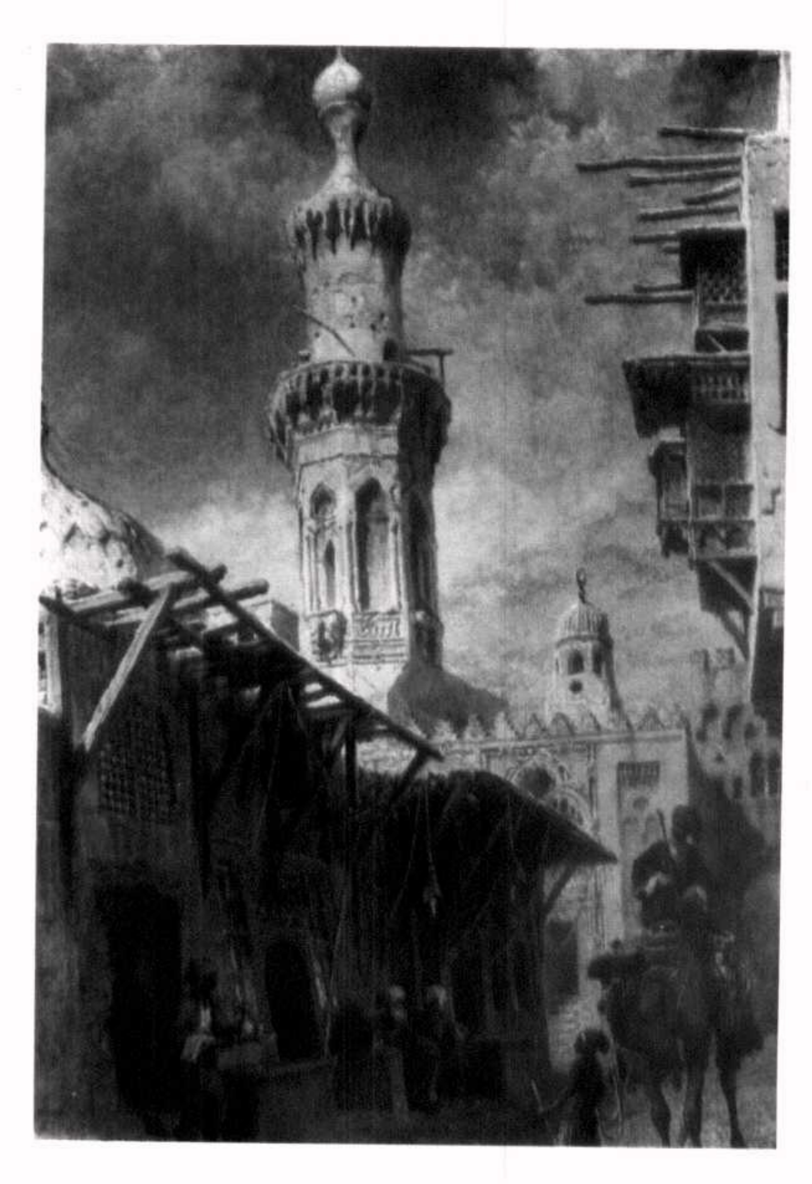


دافيد روبرتس: واجهة مسجد أبى العلاء بحى بولاق

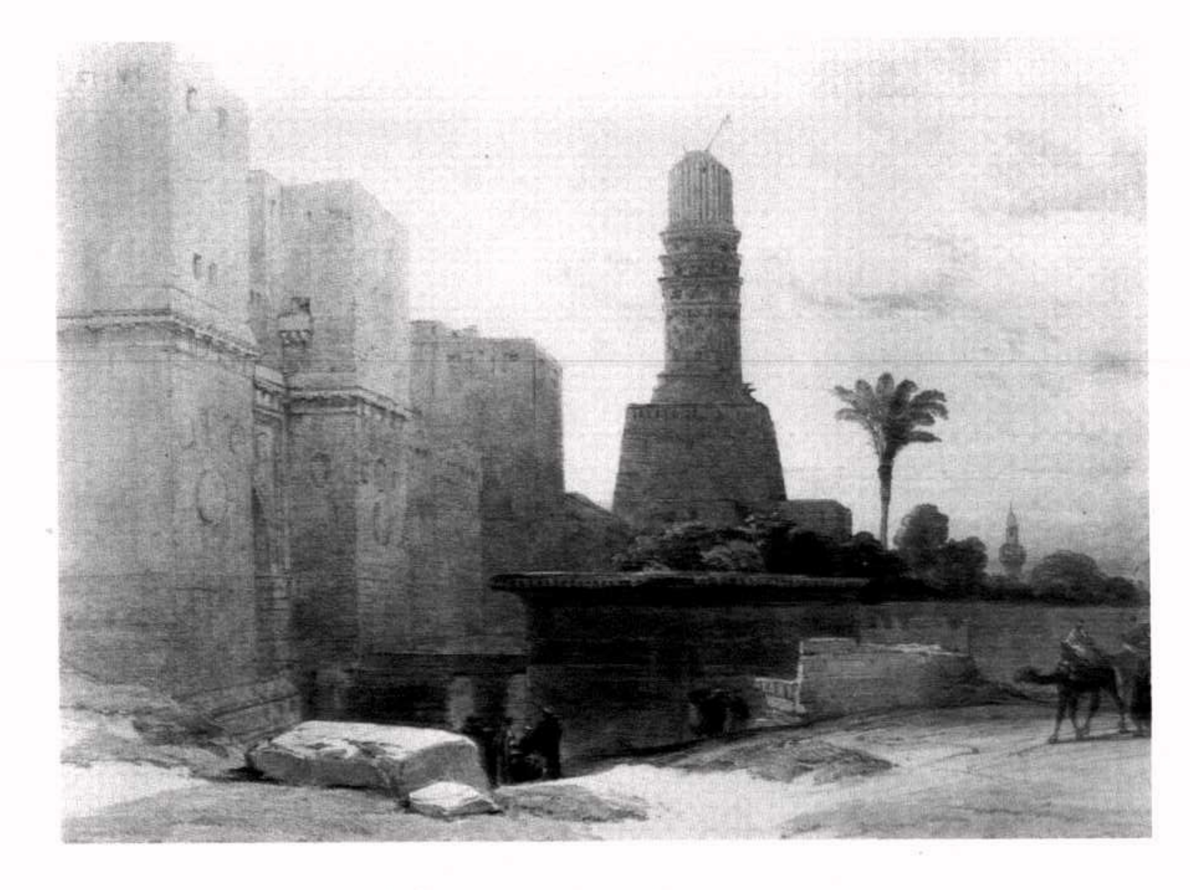




دافيد روبرتس: بالقرب من باب زويلة ومنارتى المؤيد شيخ



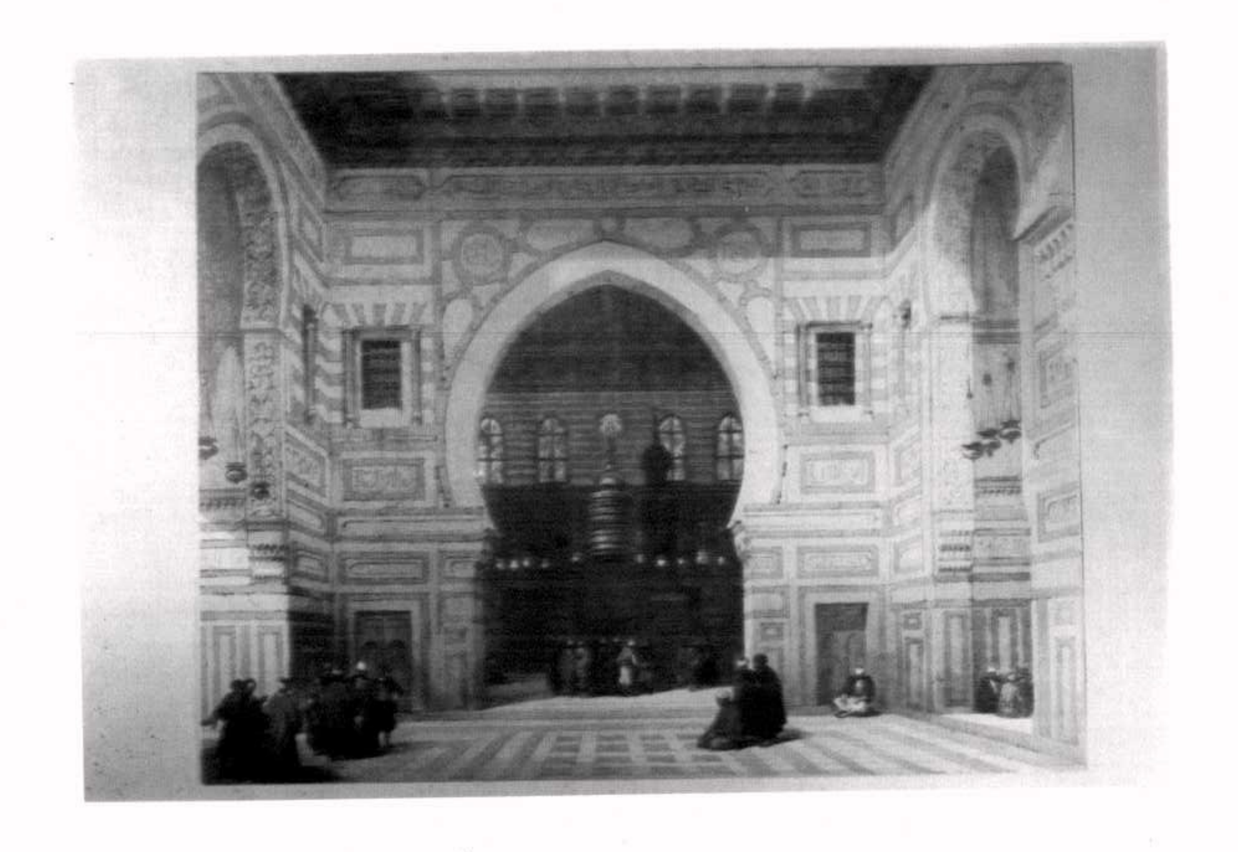
كارل هاج: جامع الغورى بالقاهرة



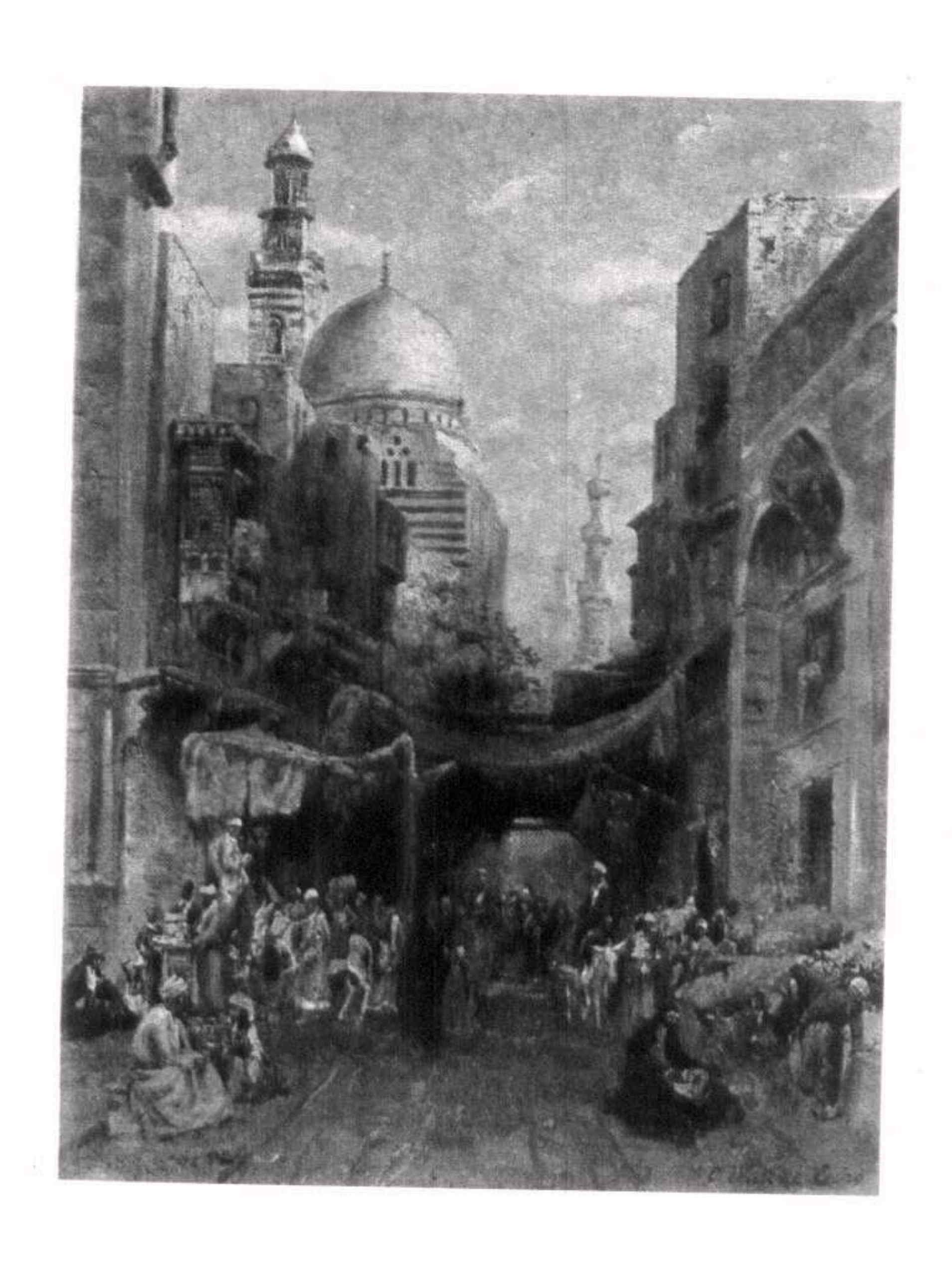
دافيد روبرتس؛ باب النصر وجامع الحاكم بأمر الله



لودفيج دويتش: جامعة الأزهر

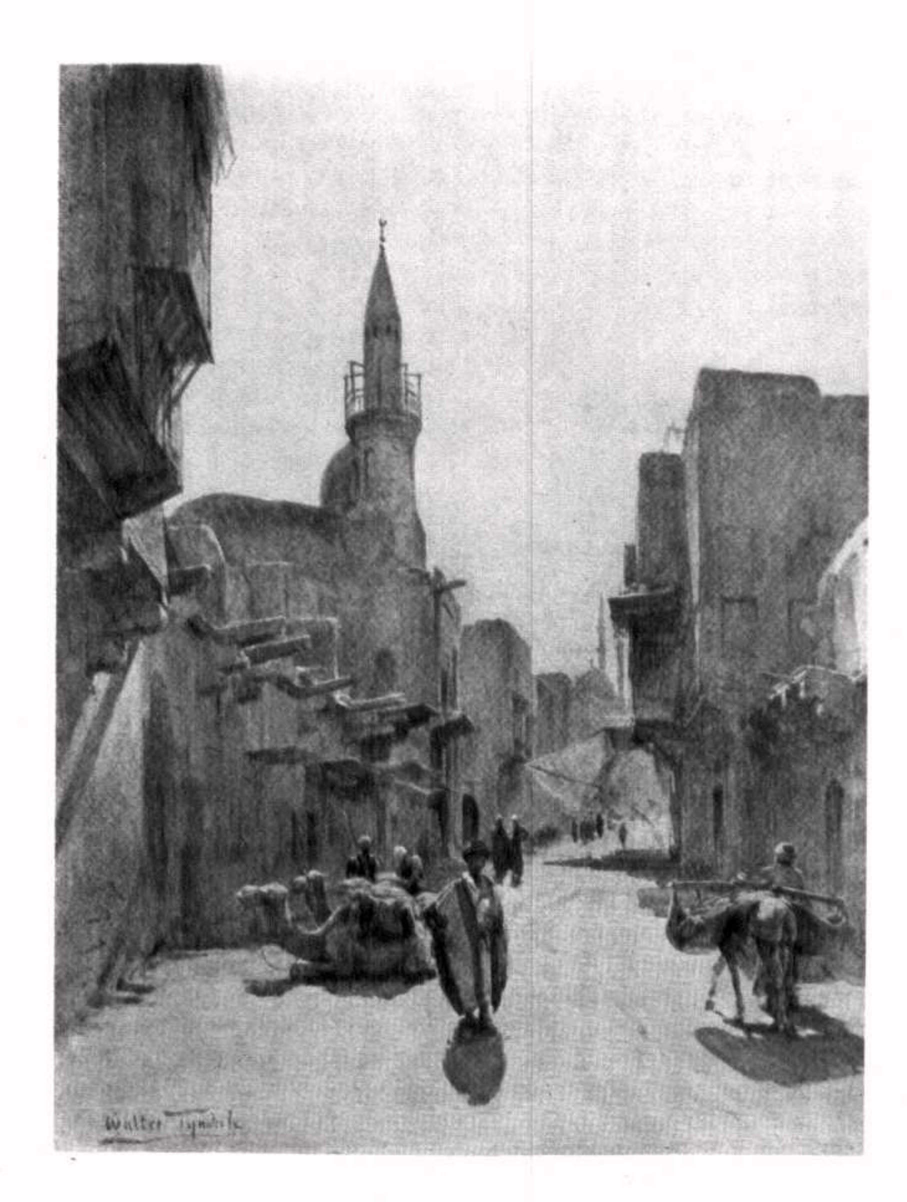


دافيد روبرتس: داخل جامع السلطان المؤيد





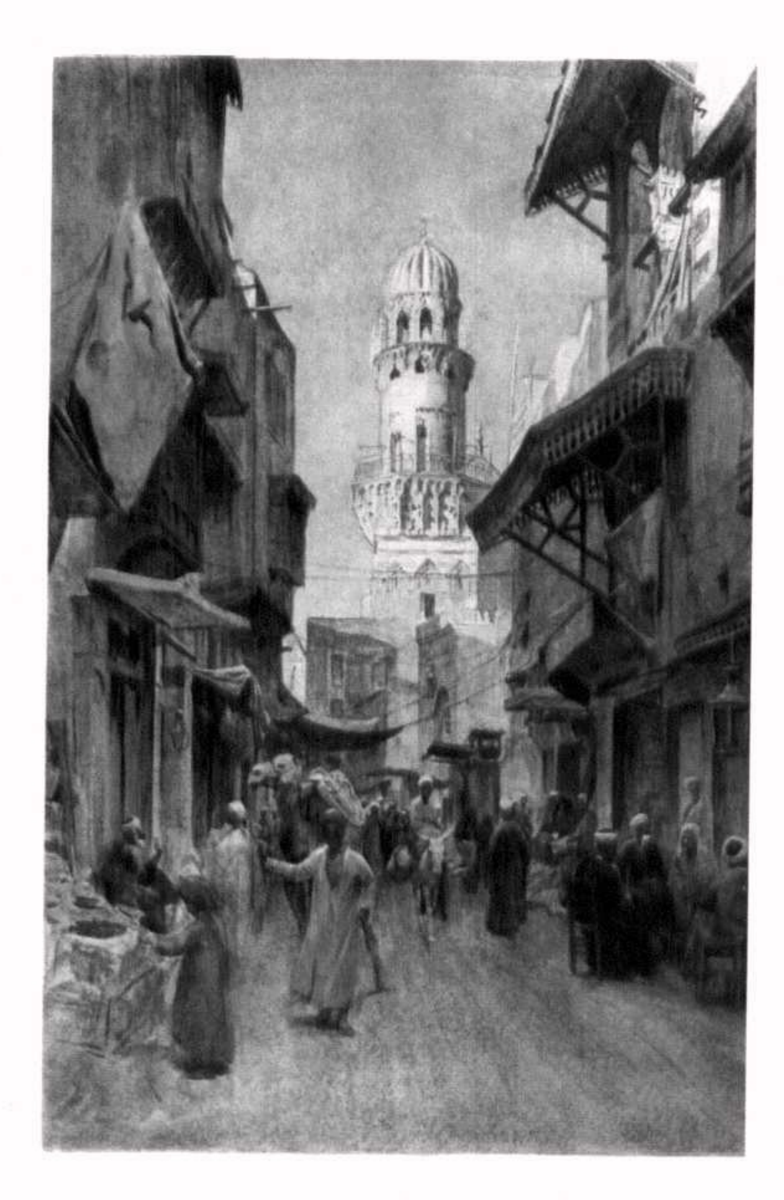
جابرييل كاريللى؛ مشهد من شارع بالقاهرة



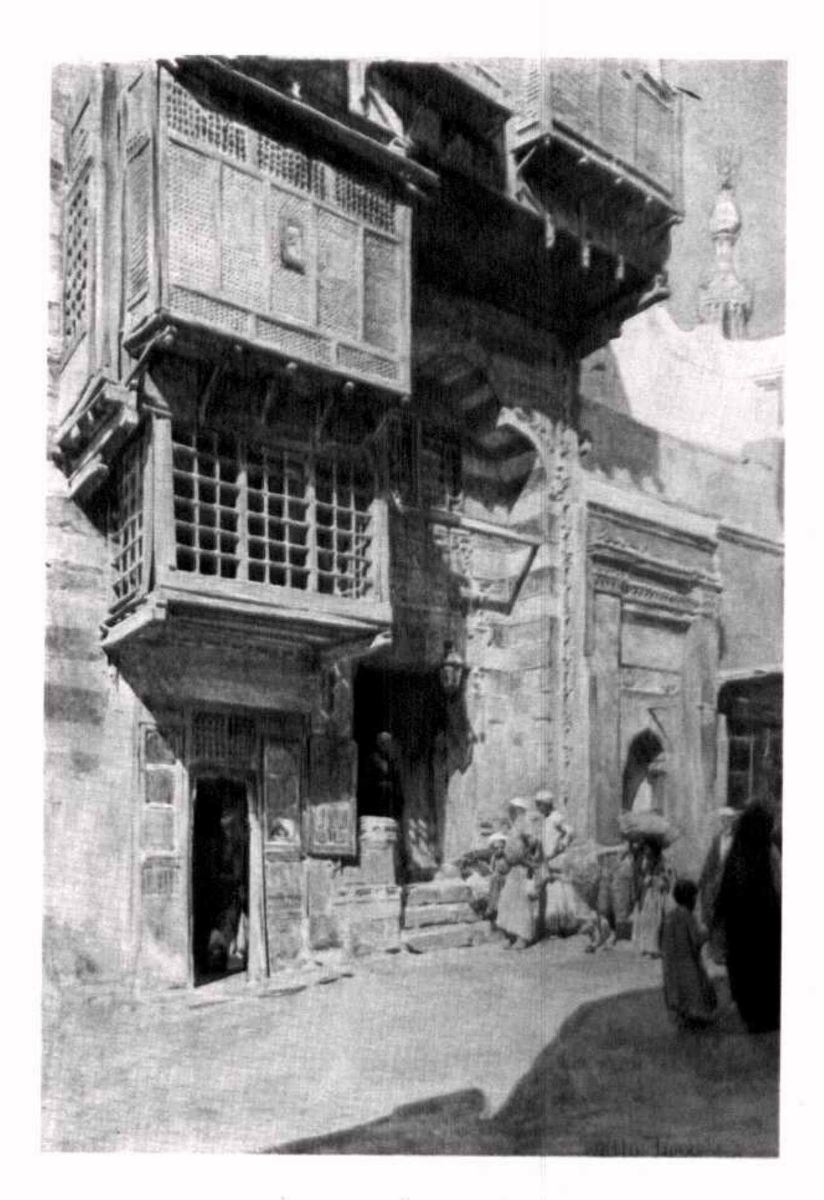
والتر تيندال: شارع بالقرب من قلعة القاهرة



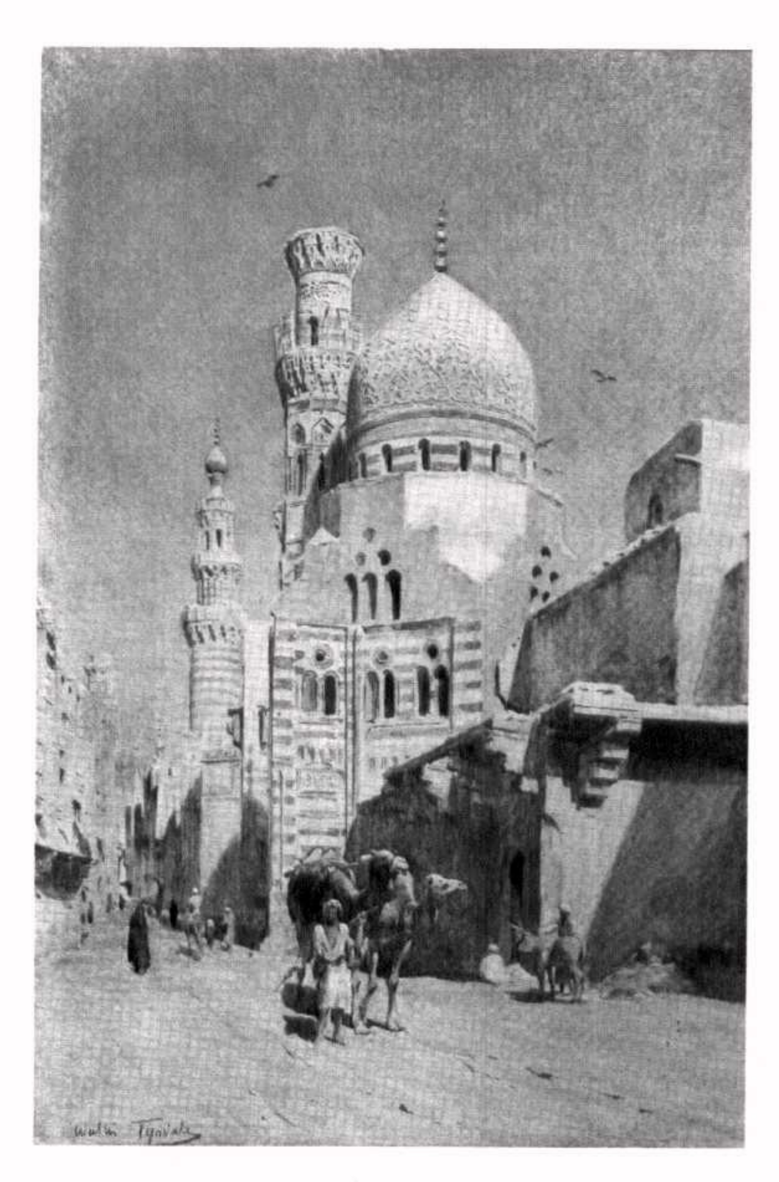
والتر تيندال : درب الجماميز بالقاهرة



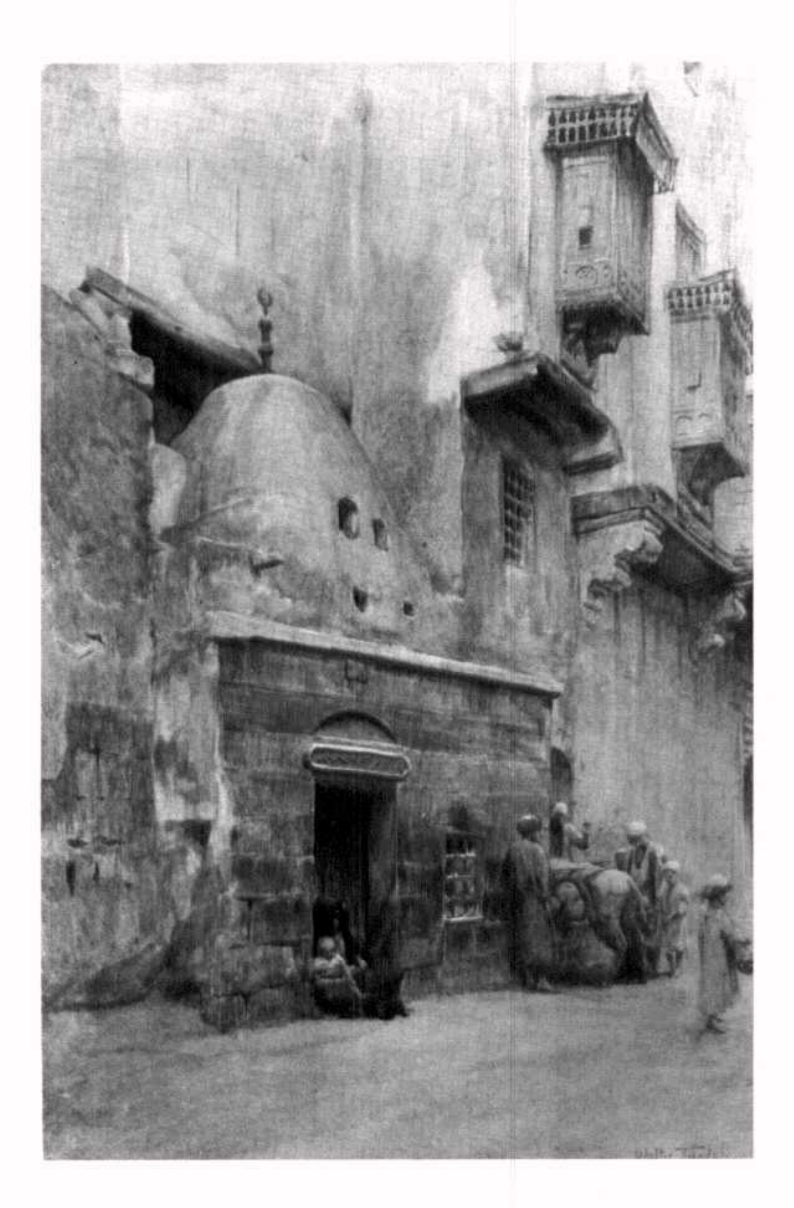
والتر تيندال : مشهد من الجمالية



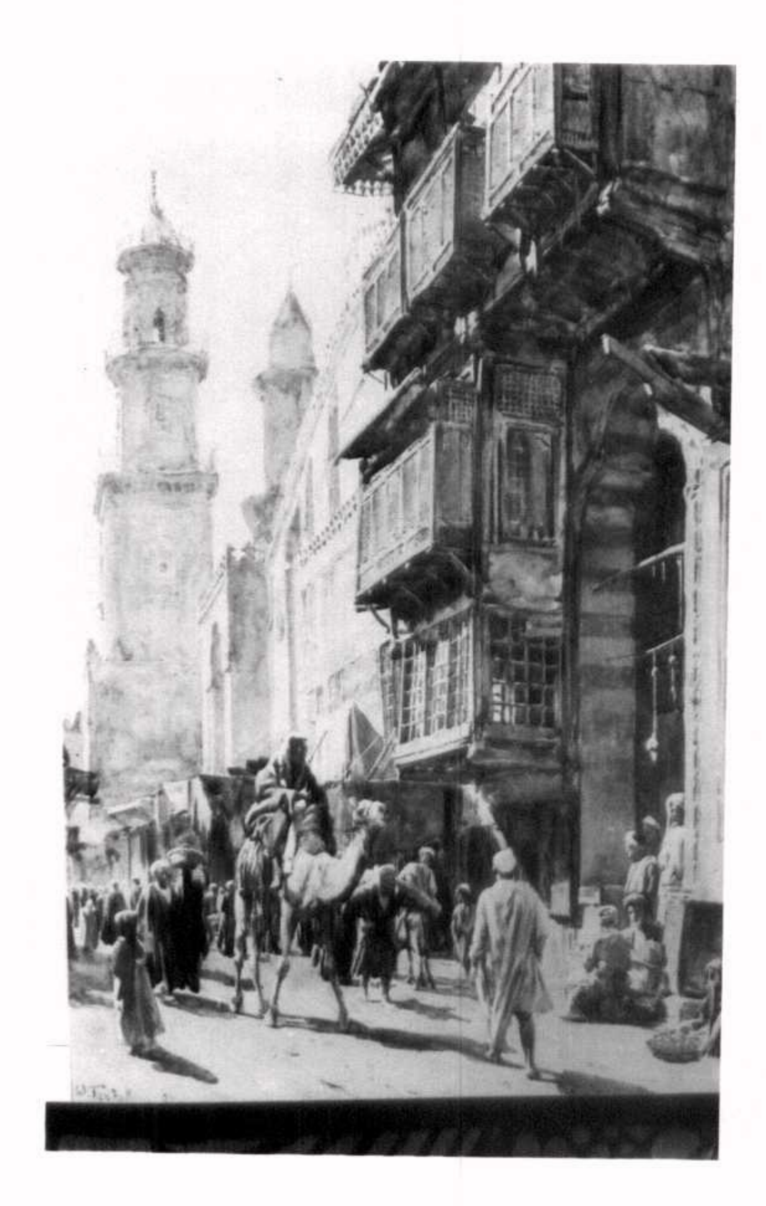
والتر تيندال : مشهد من شارع النحاسين



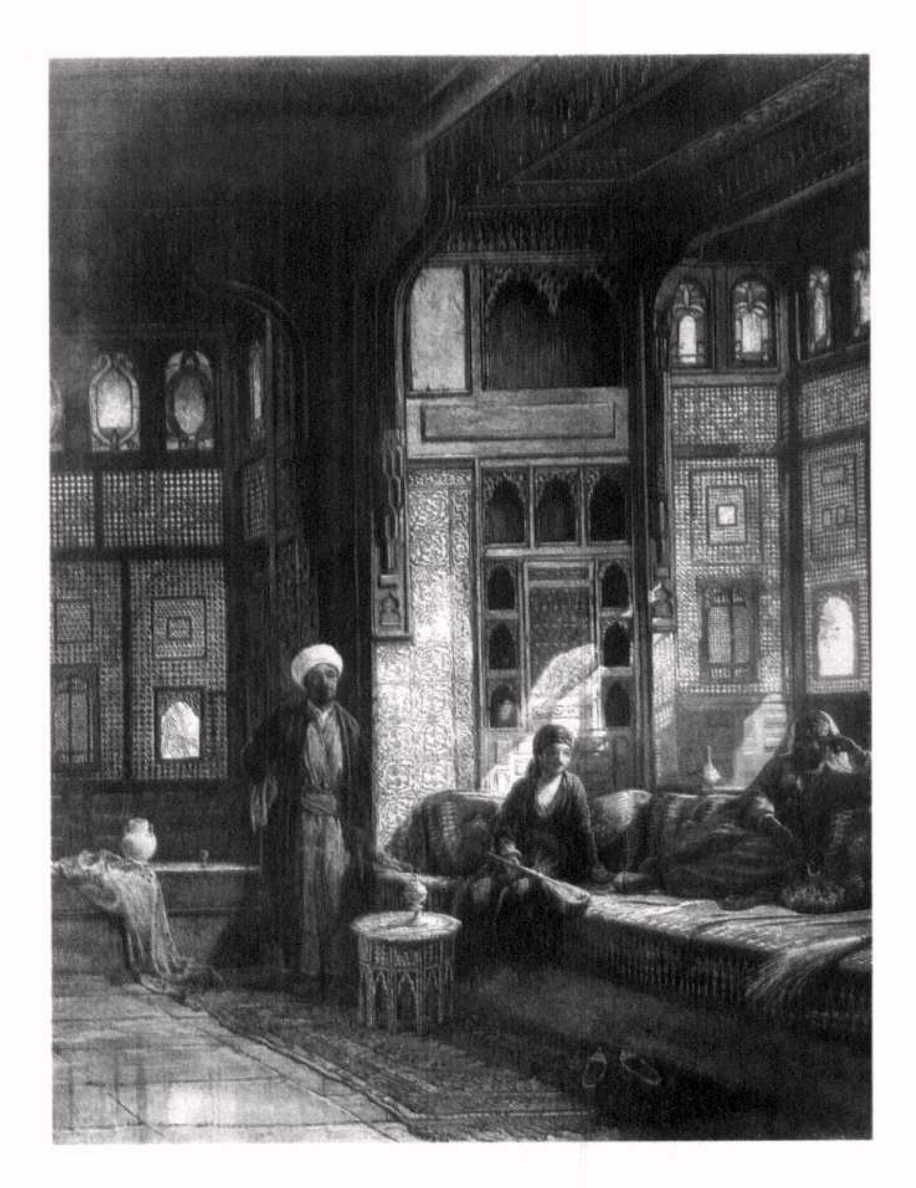
والتر تيندال : ضريح ومسجد أربوغان بالقاهرة



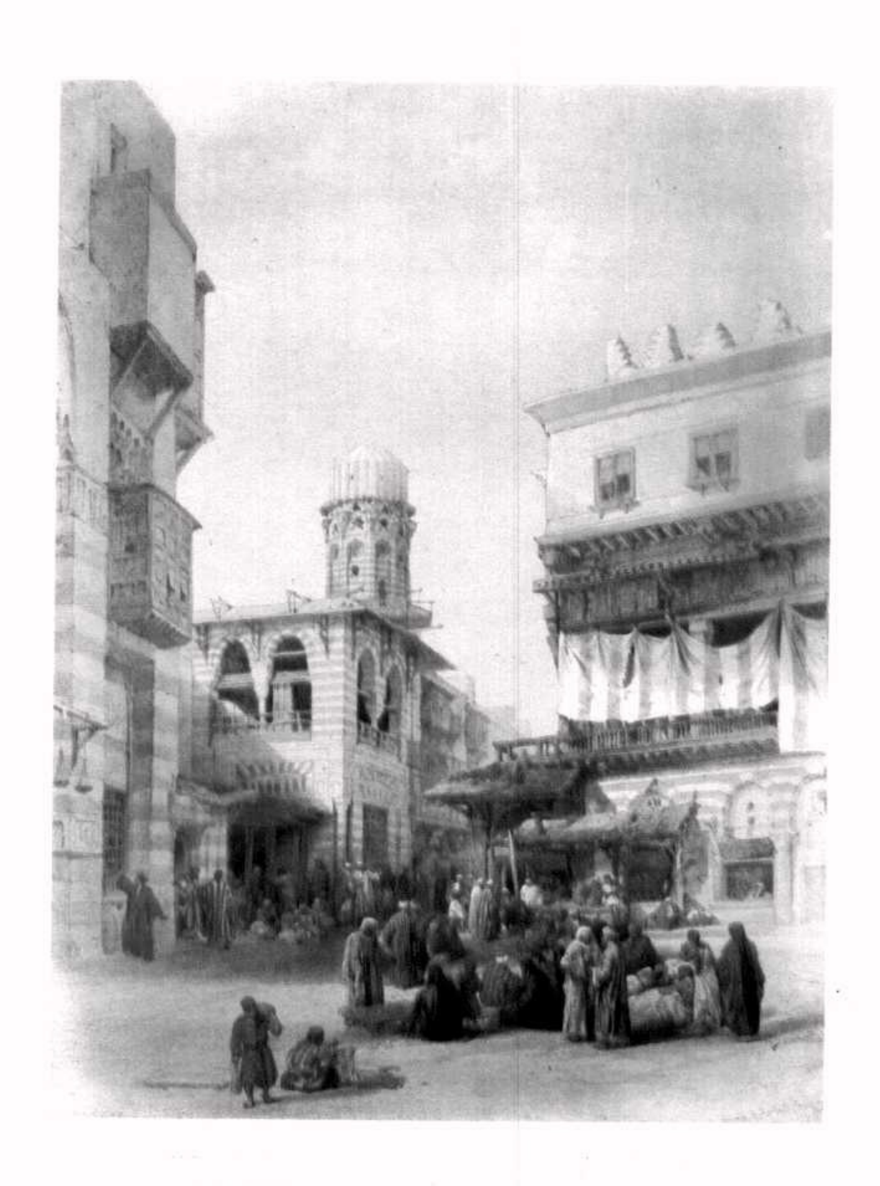
والتر تيندال : ضريح شيخ بالقاهرة



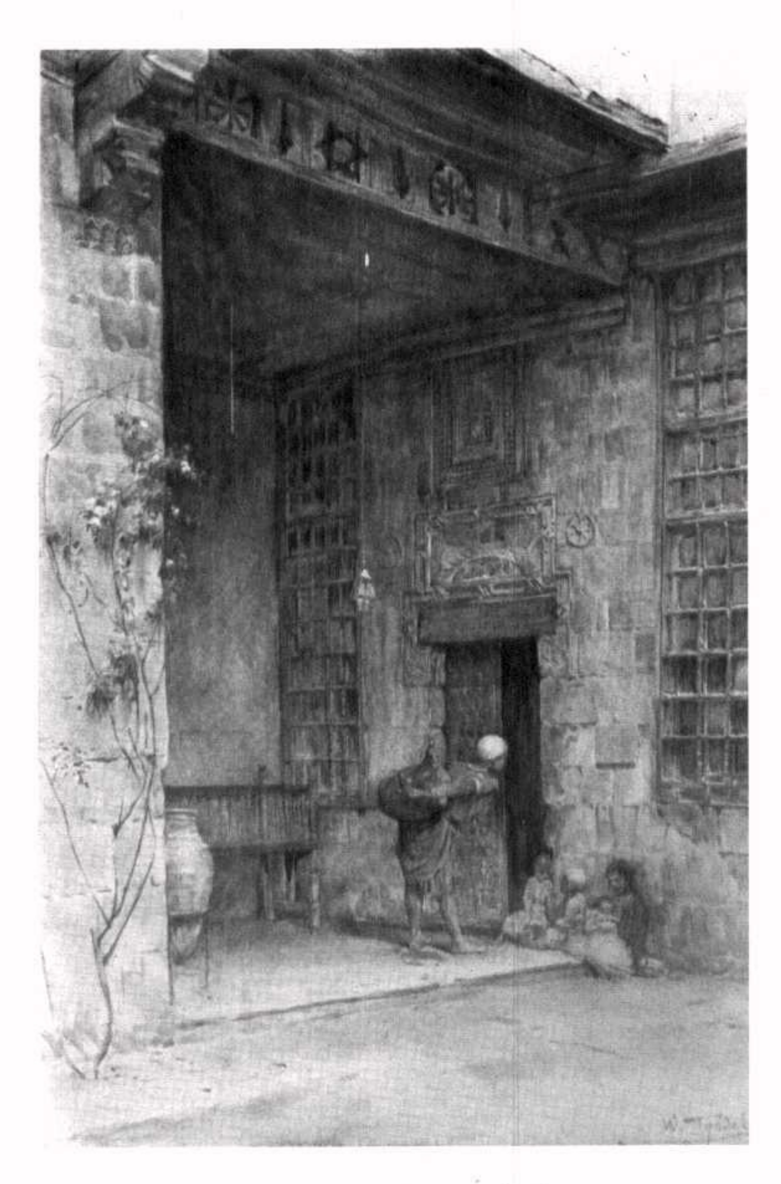
والتر تيندال :شارع بالجمالية



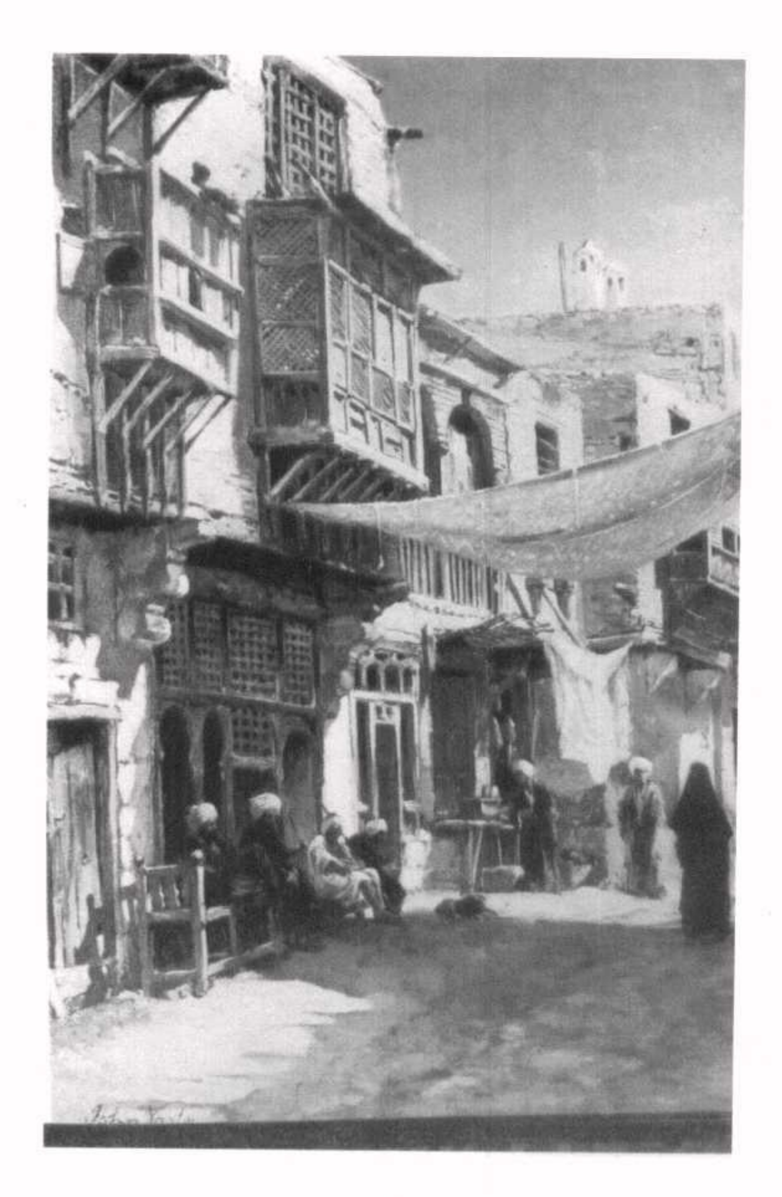
فرانك ديلون: قاعة حريم الشيخ السادات



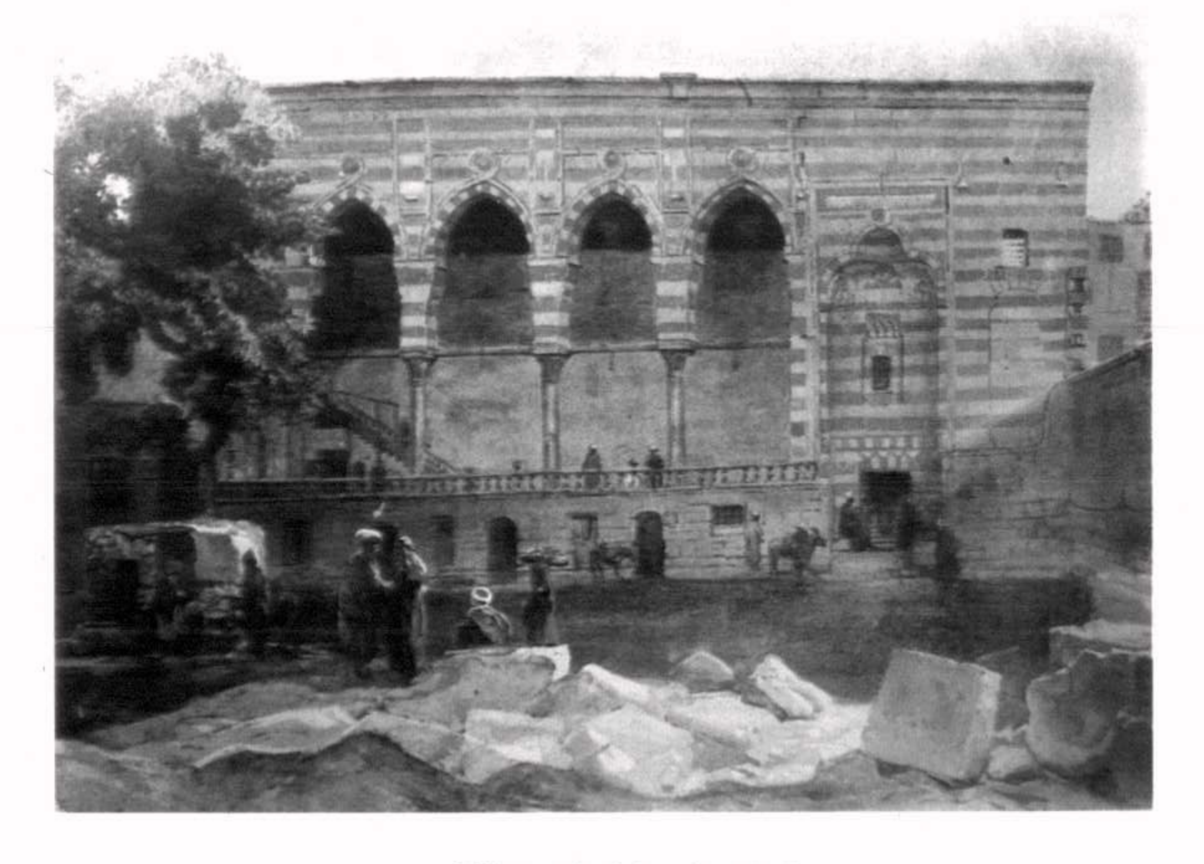
دافيد روبرتس: سوق النحاسين بالقاهرة



والتر تيندال : فناء منزل بالقاهرة



والترتيندال : شارع بالقاهرة



فرانك ديلون: المحكمة . بيت القاضى



چيوسيبى انچيليلى : اللوحة الشهيرة لأعضاء البعثة الفرنسية - التوسكانية يتوسطها شامبليون بالزى الشرقى



فردريك لويس: كاتب الرسائل



رودولف سفودا: رفا السجاد



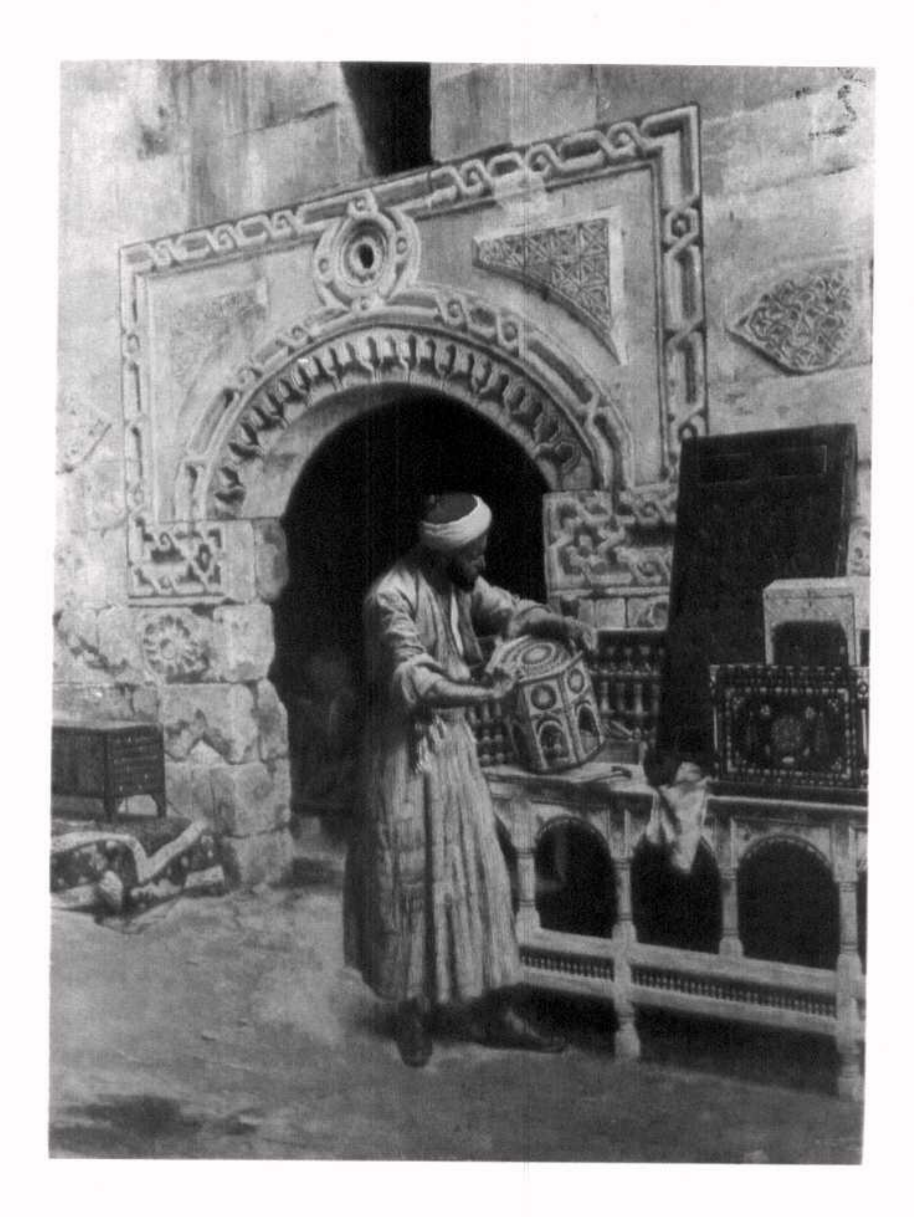
جيل جوسيه : داخل مقهى



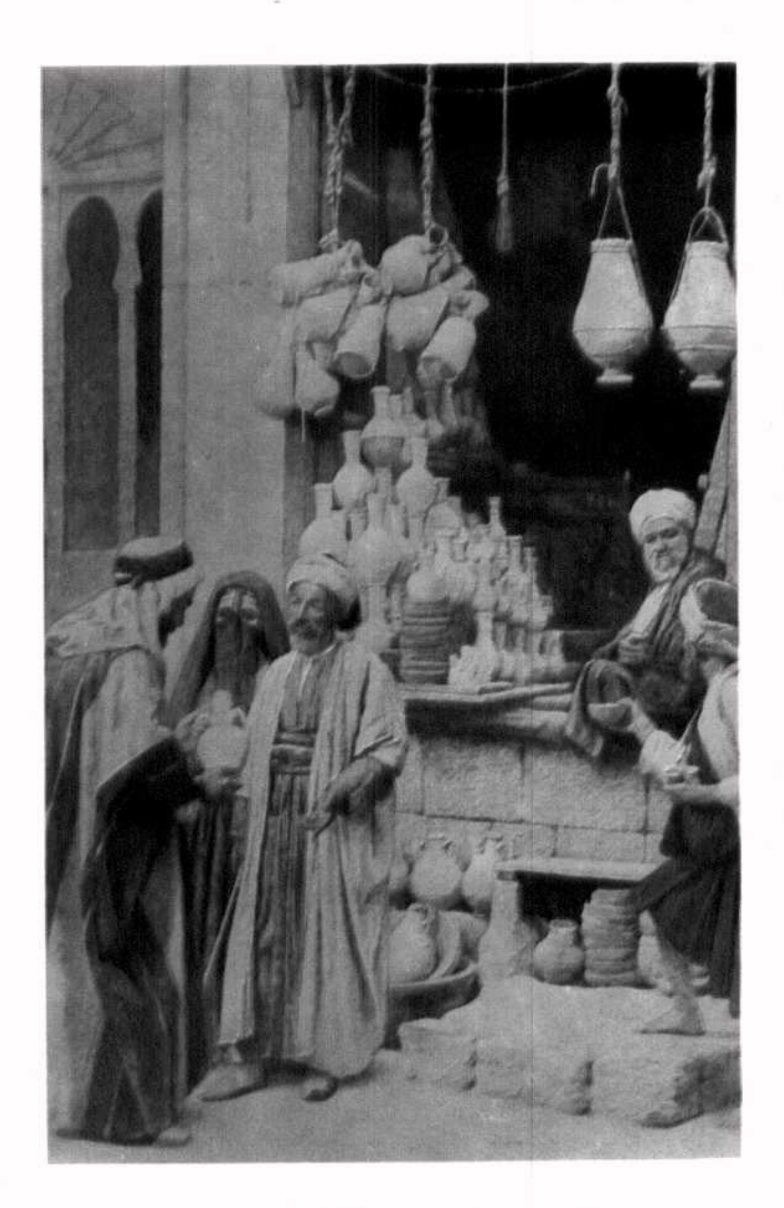
ج . ل. جيروم: امرأتان من الغوازى تلعبان الشطرنج فى مقهى بلدى



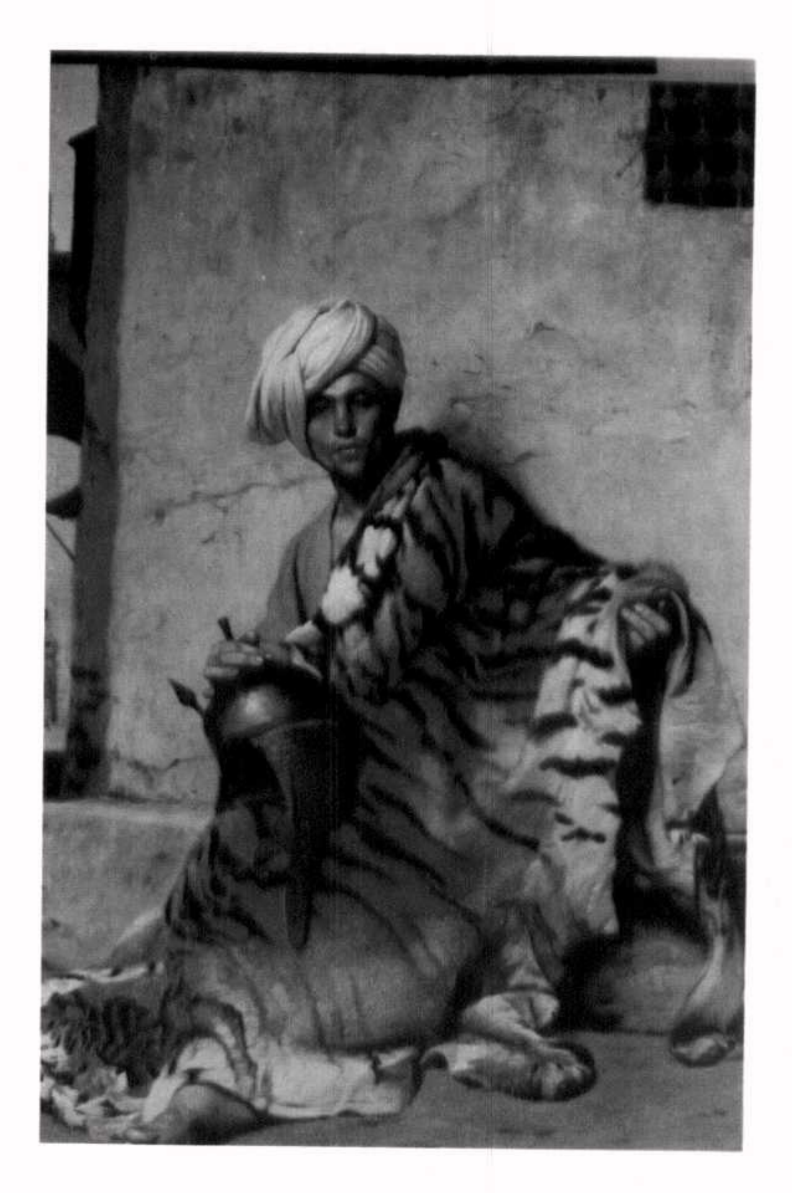
لودفيج دويتش: بائع العرقسوس



لودفيج دويتش: بائع الأثاث



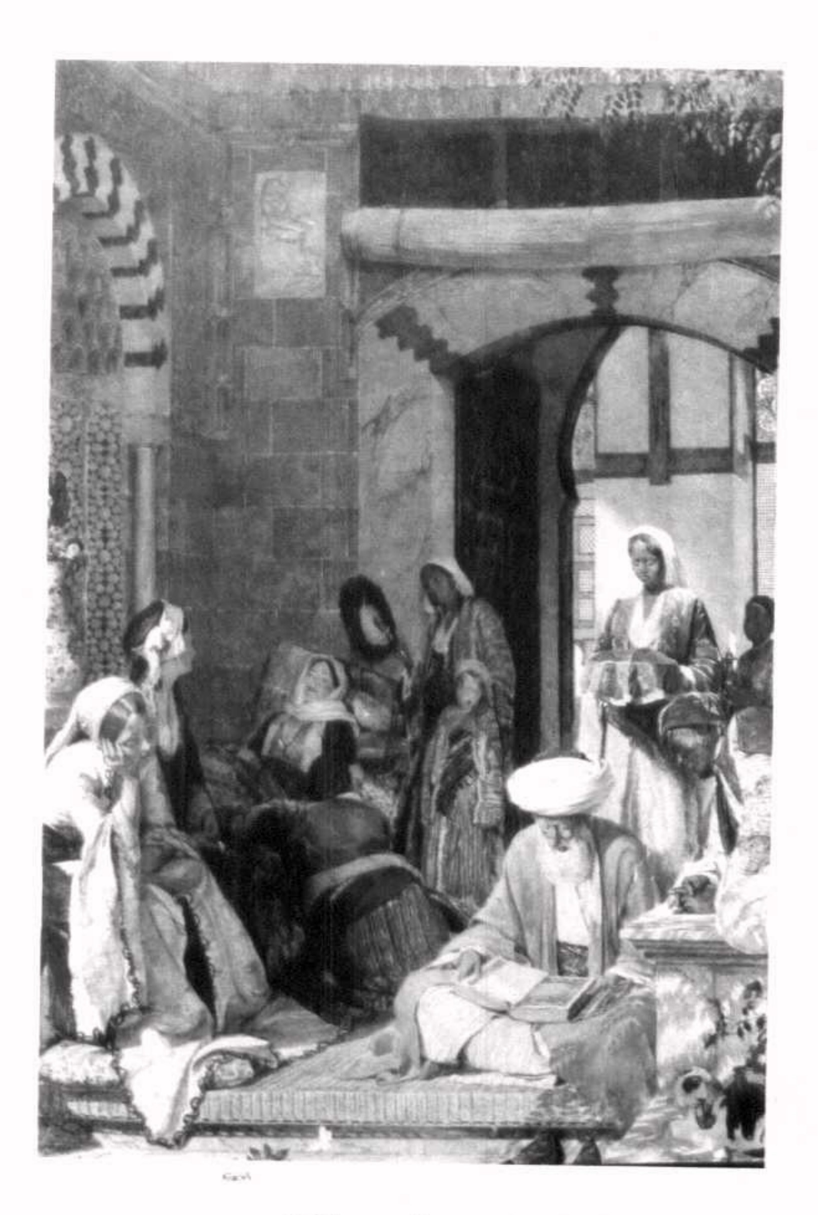
فيليبو بارتوليني: بائع الأوانى الفخارية



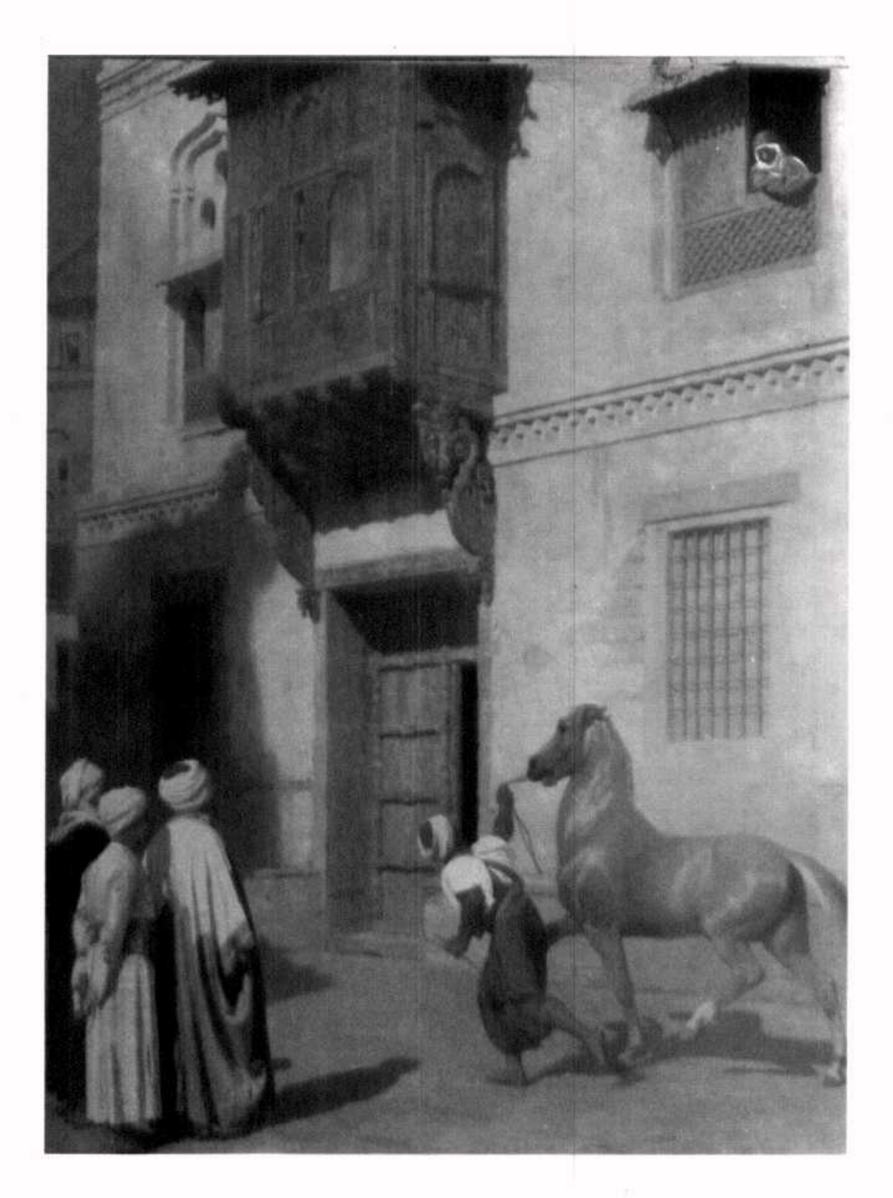
ج . ل. جيروم: جلد نمر للبيع



لودفيج دويتش: بائع الأسلحة



فردريك لويس : التداوى بالقرآن



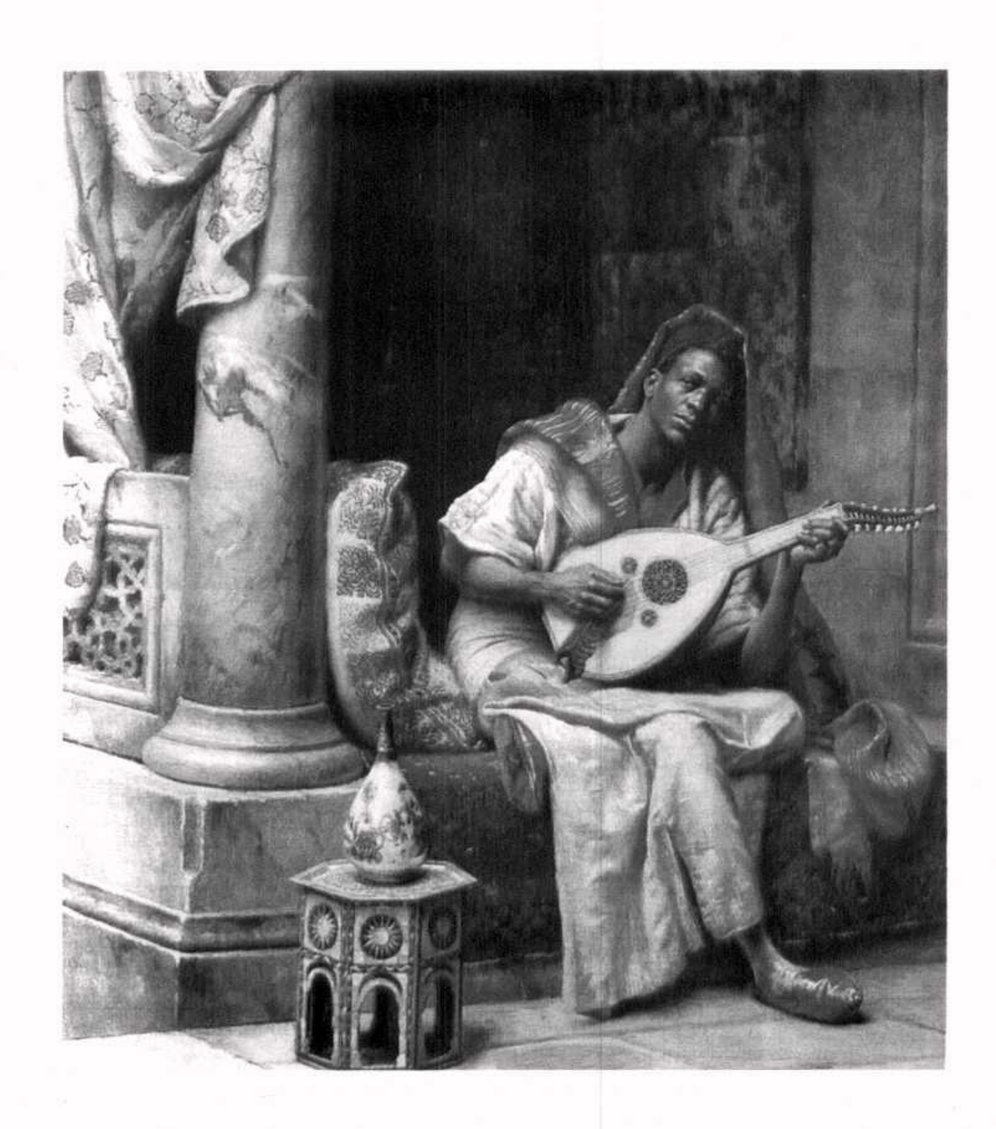
ج . ل. جيروم: مروض الحصان



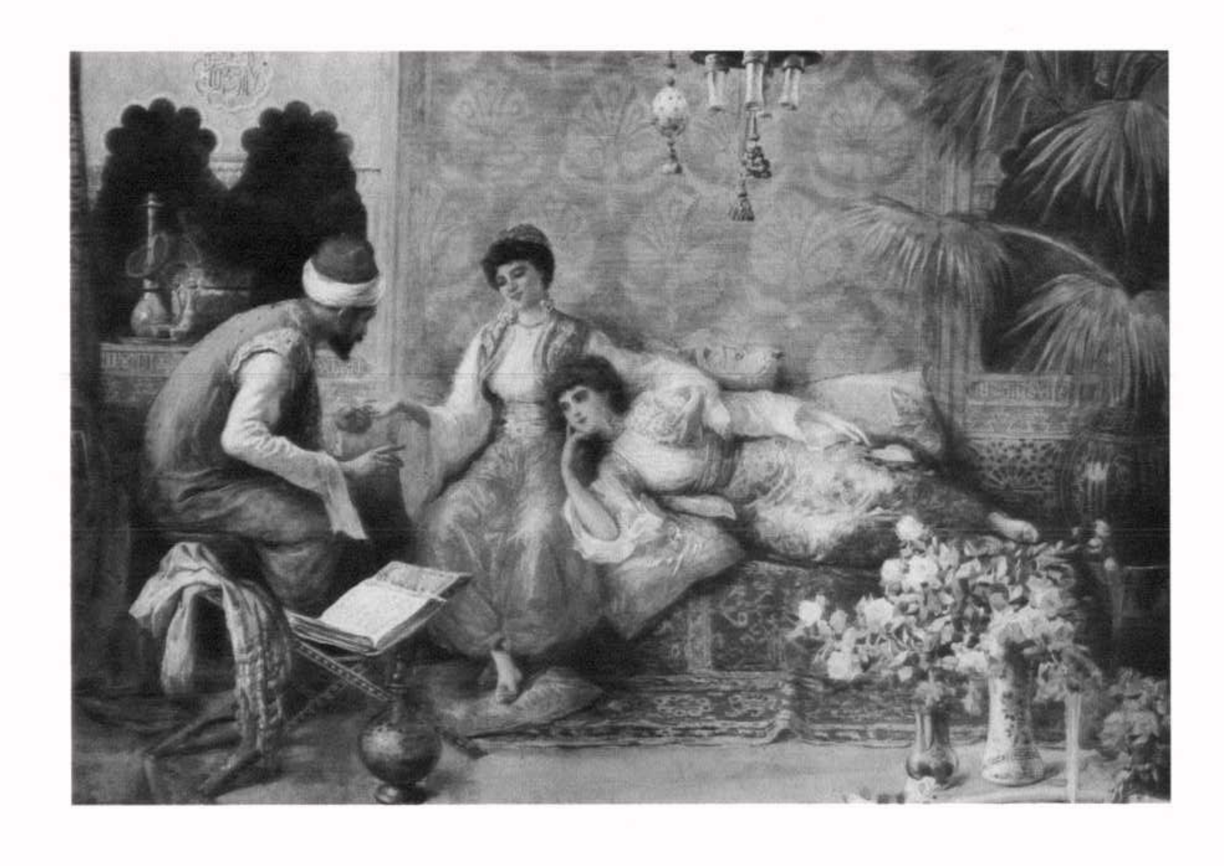
فردريك لويس : الكبابجى



والتر تيندال : بائع فاكهة بحي بولاق



ودفيج دويتش: عازف العود



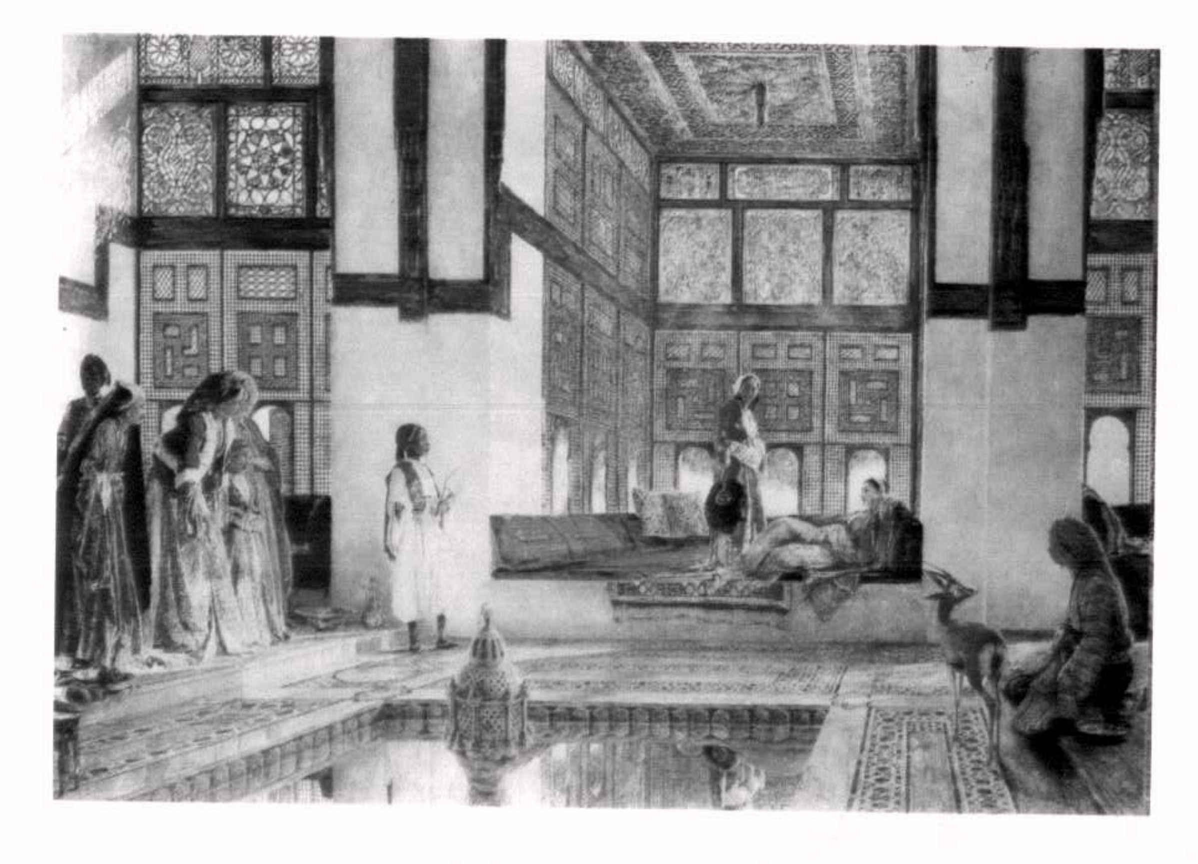
اميديو سيمونيتي: قارىء الطالع



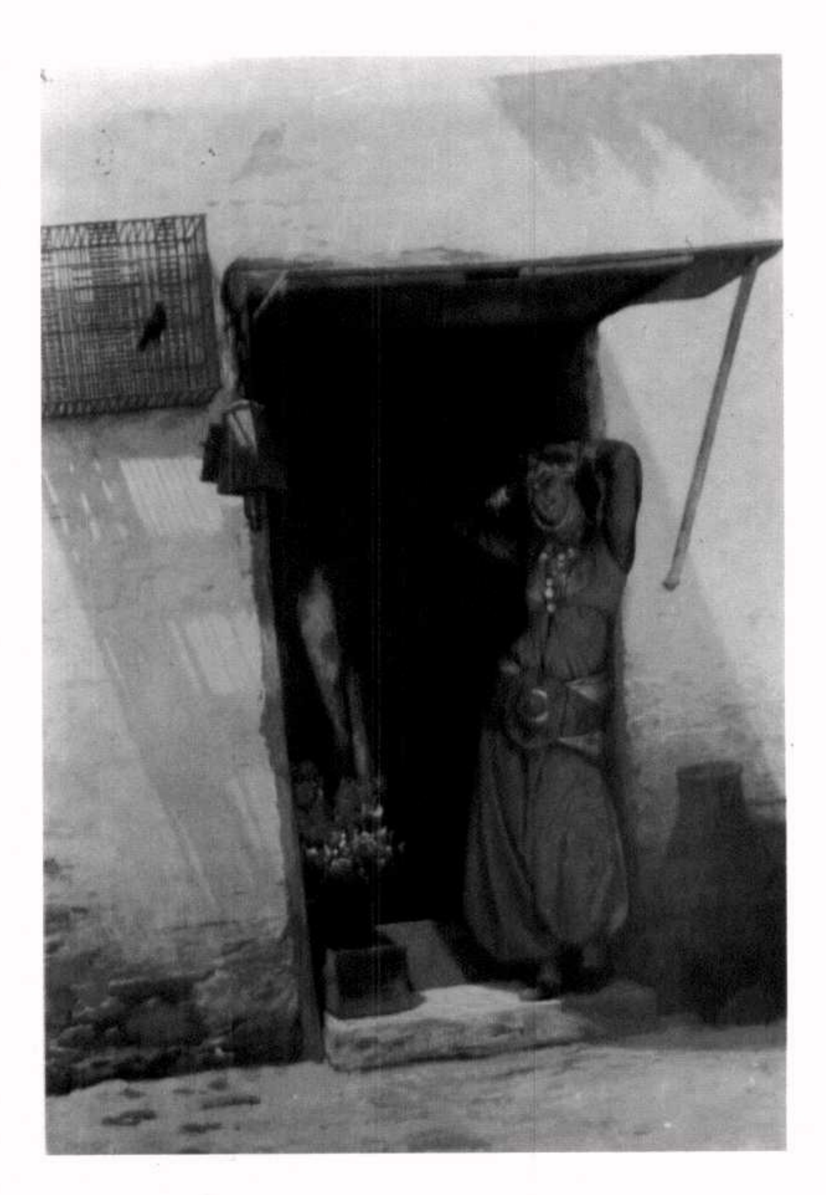
فابيو فابى : حفل زفاف بالقاهرة



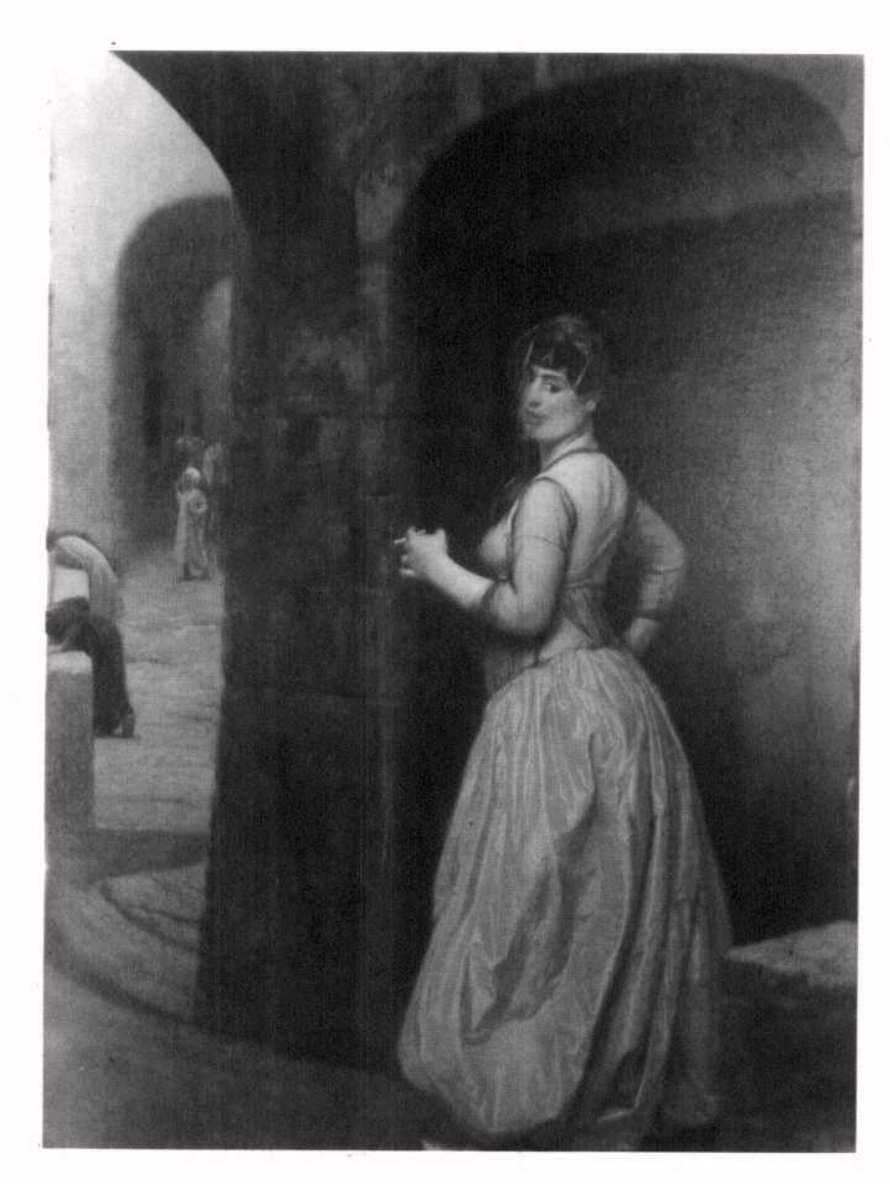
فردريك جودول: نور جديد فى الحريم



فردريك لويس: استقبال فى الحريم



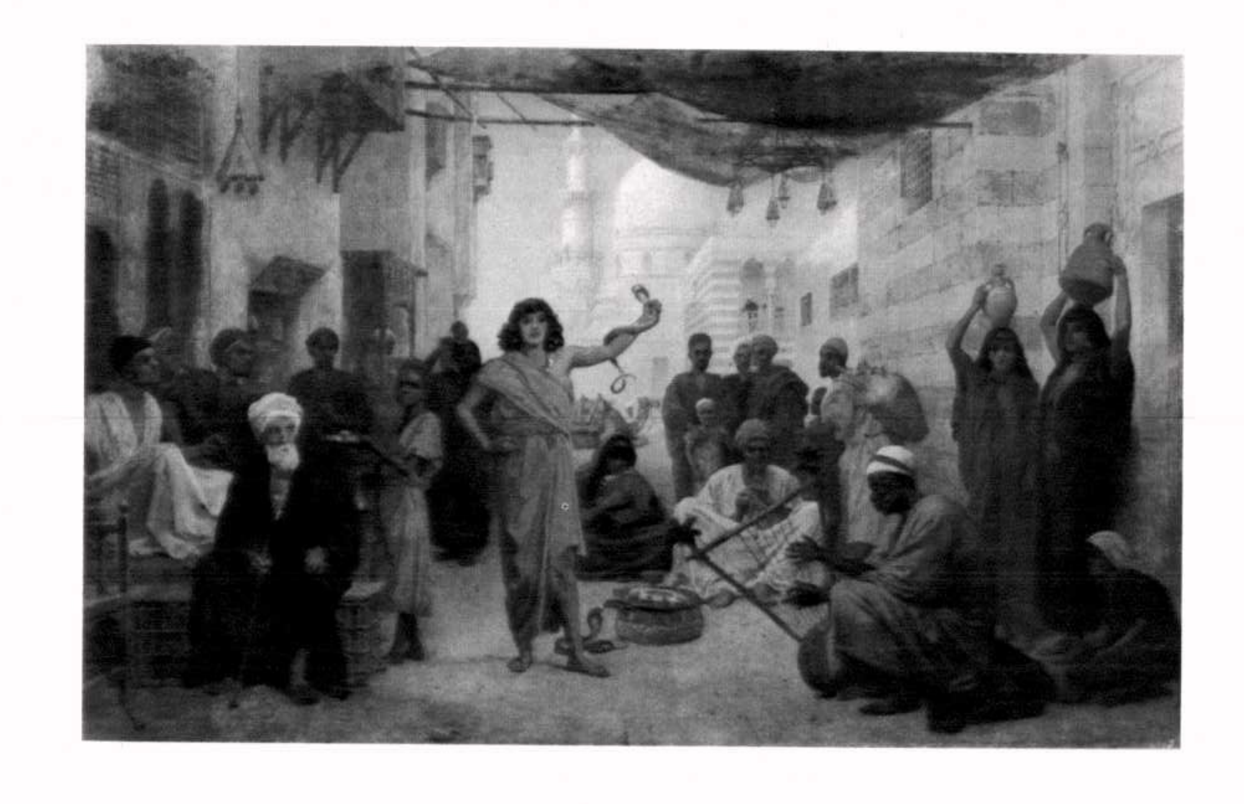
ج . ل. جيروم: غازية على باب دارها



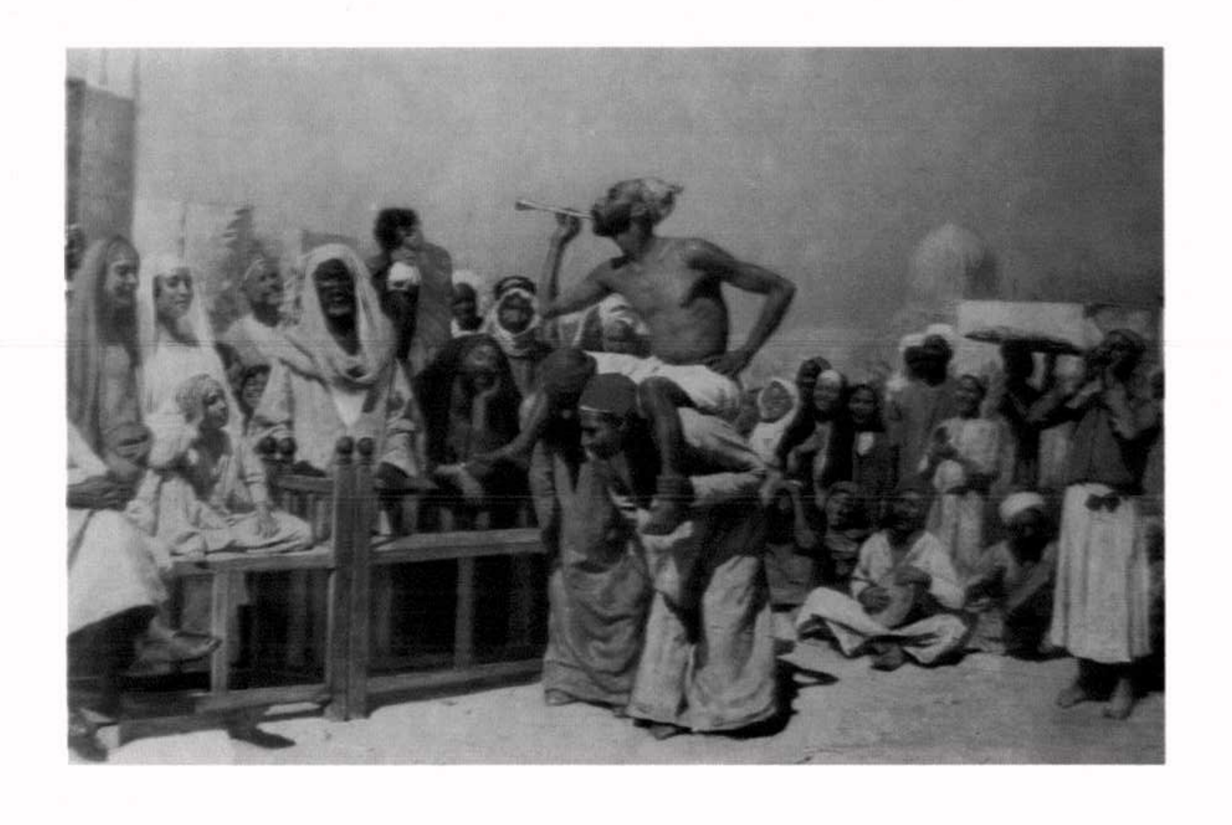
ج . ل. جيروم: امرأة من القاهرة



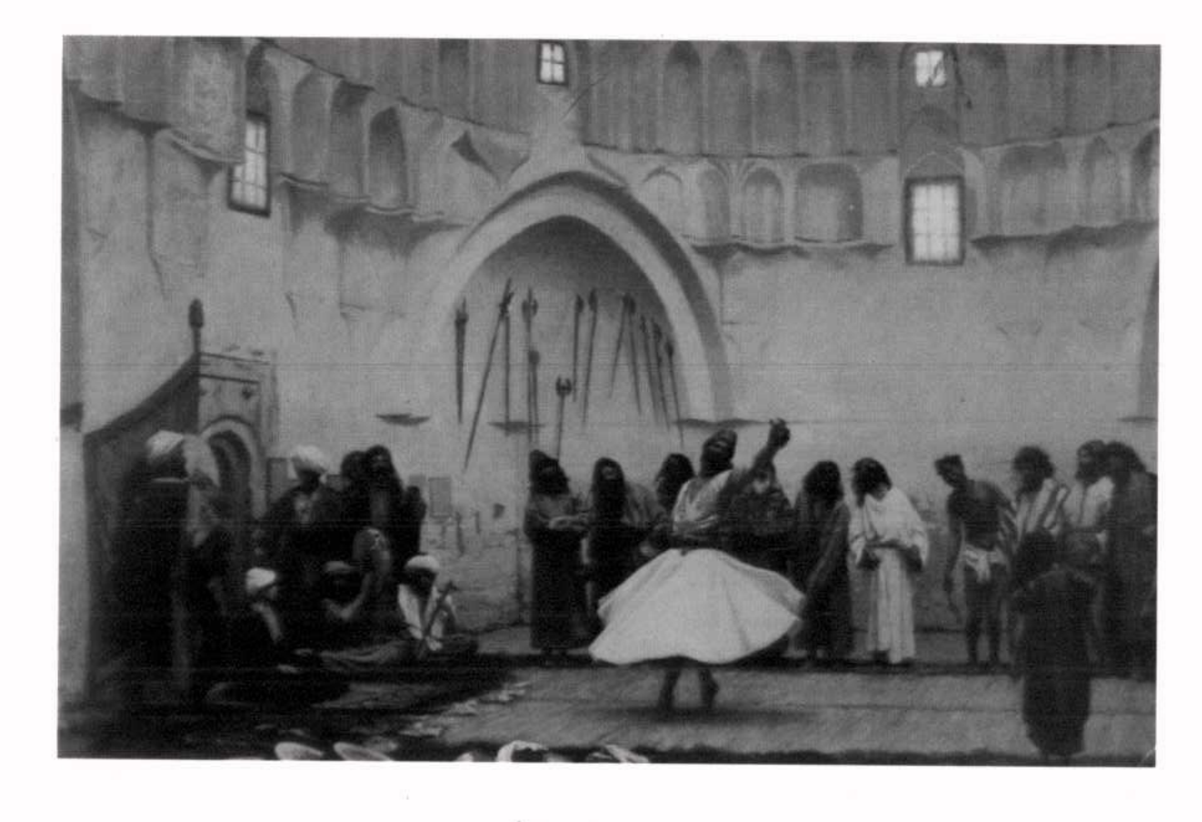
جوسيبى : مشهد من الحريم



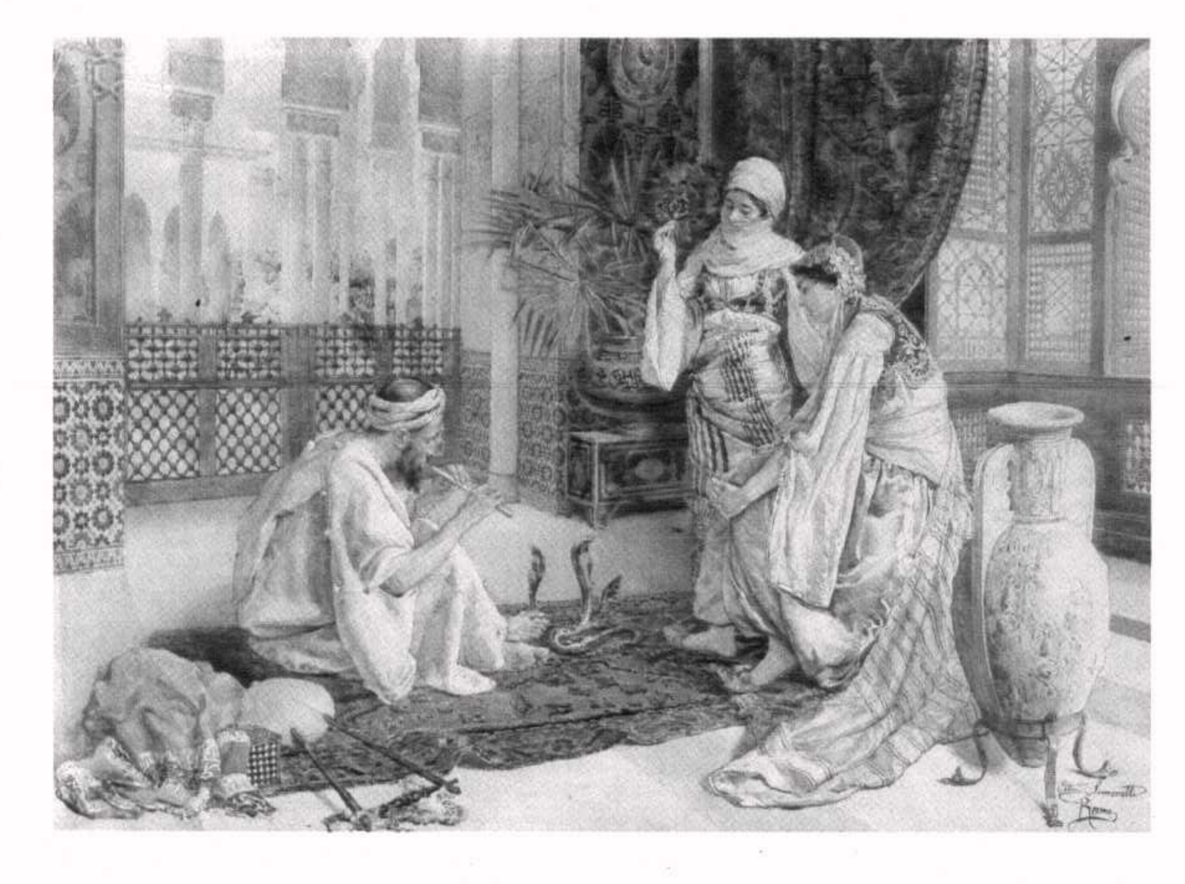
فردريك جودول : مروضة الأفاعى



فردريك جودول :الحاوى



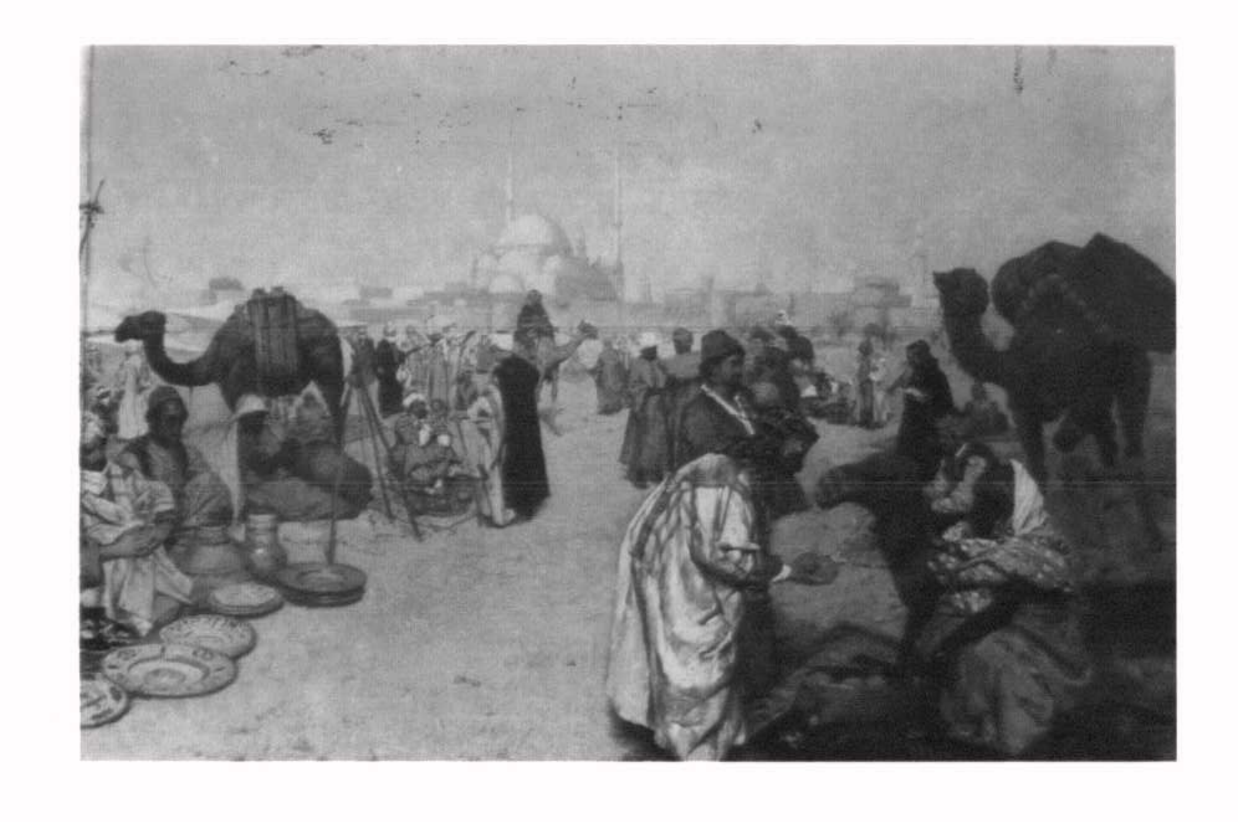
ج . ل. جيروم: الدراويش



إيتور سيمونتي: الحاوي



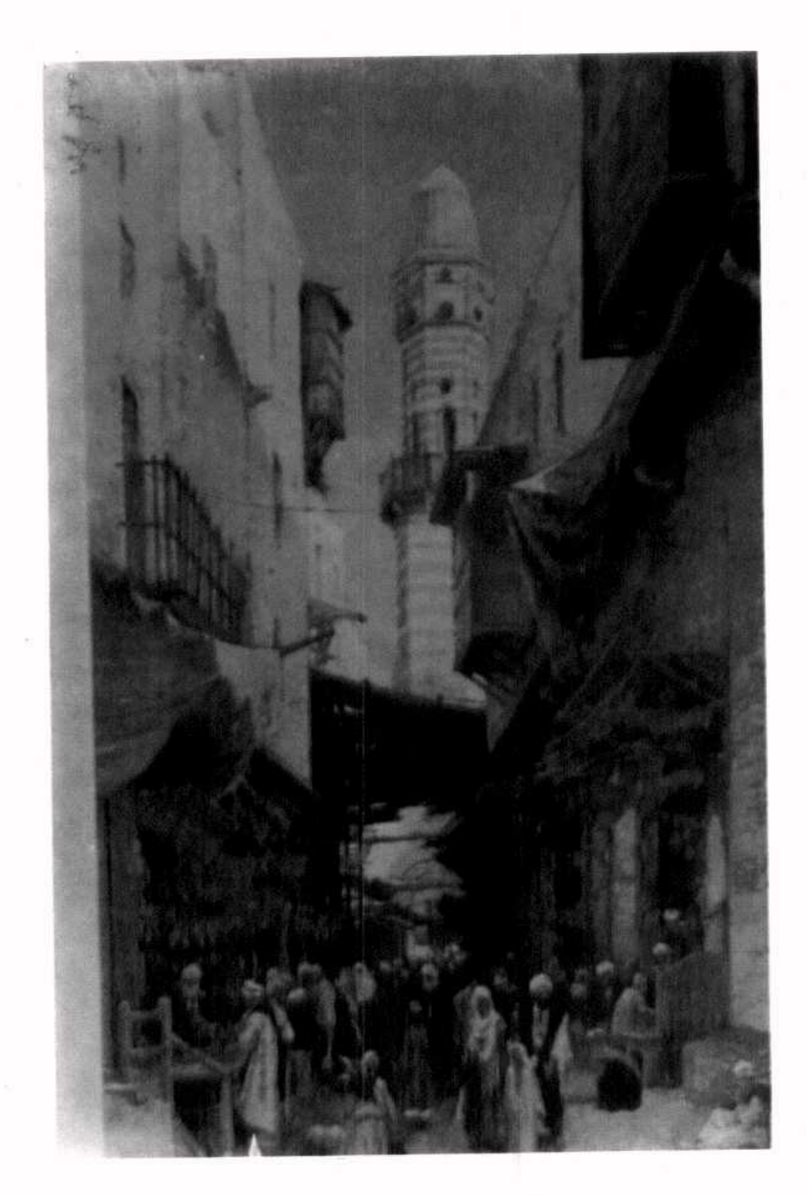
جوسيبى : سوق بضواحى القاهرة



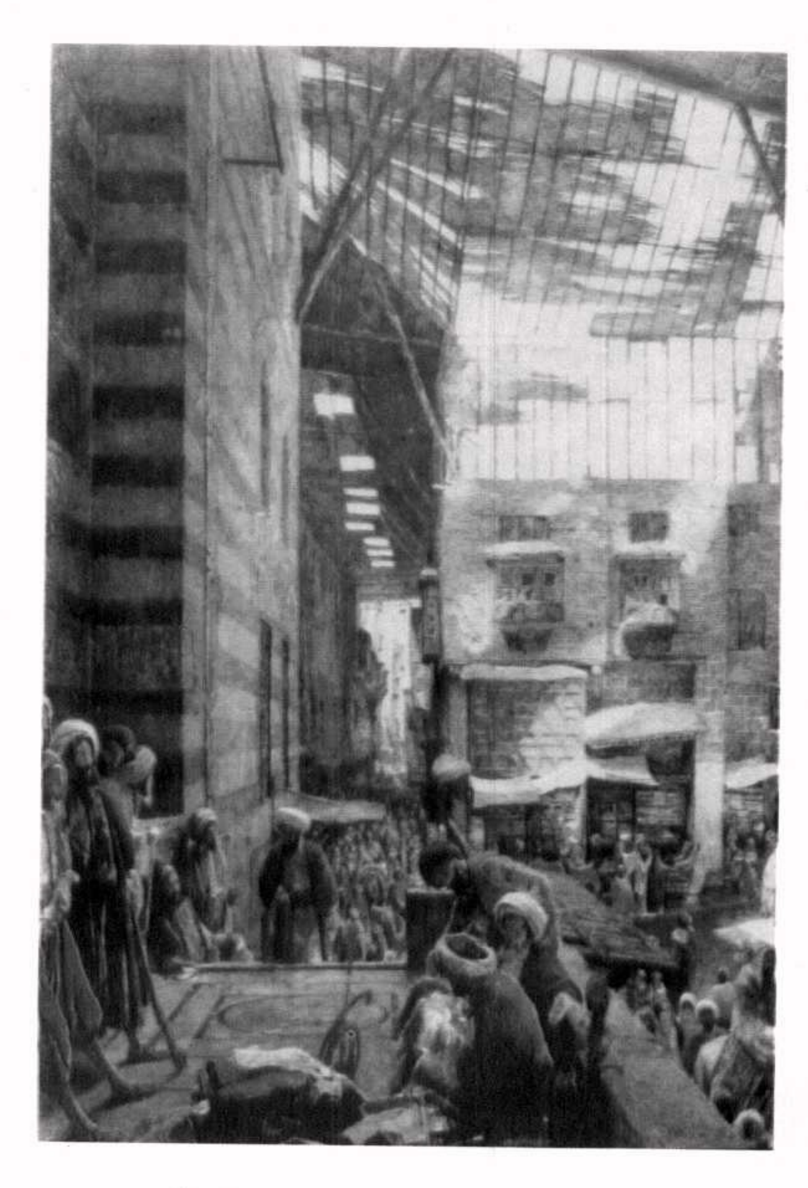
جوسيبى : مشهد من سوق بالقاهرة



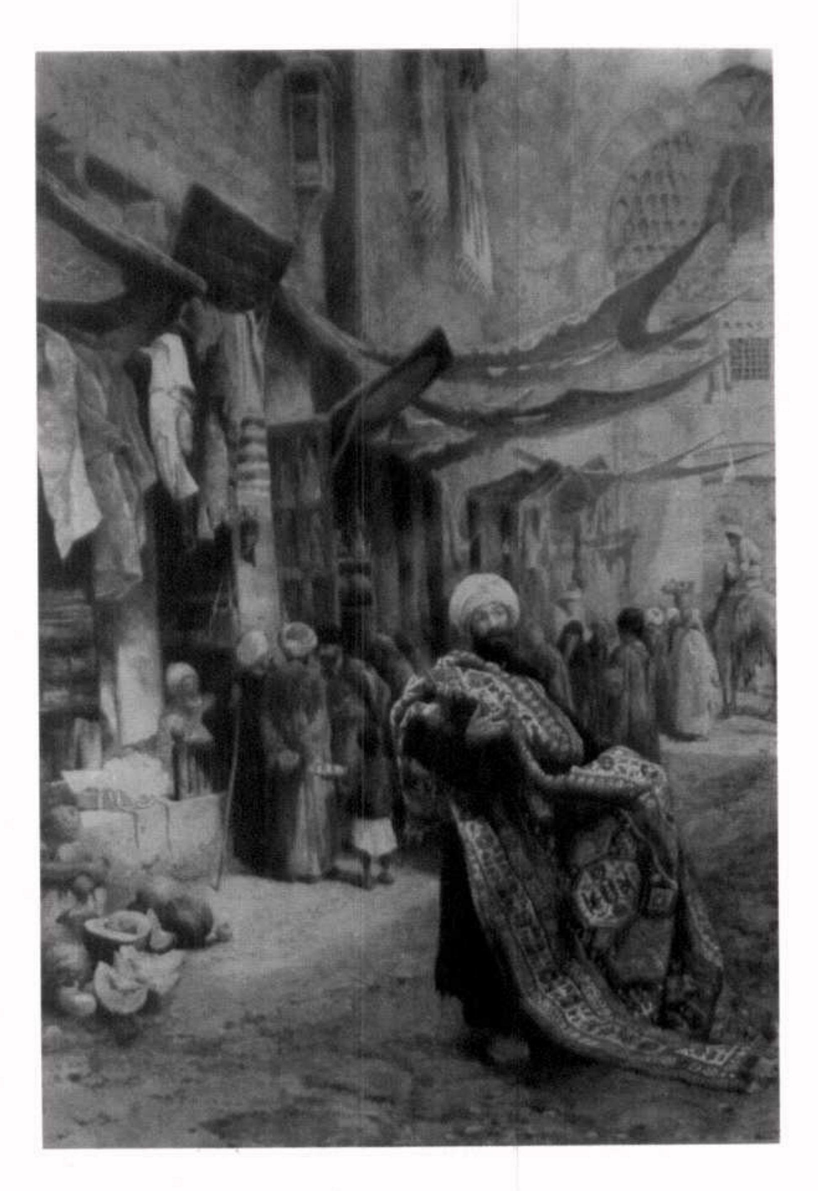
كارل مولر: سوق على أبواب القاهرة



دافيد سالمون: سوق بالقاهرة



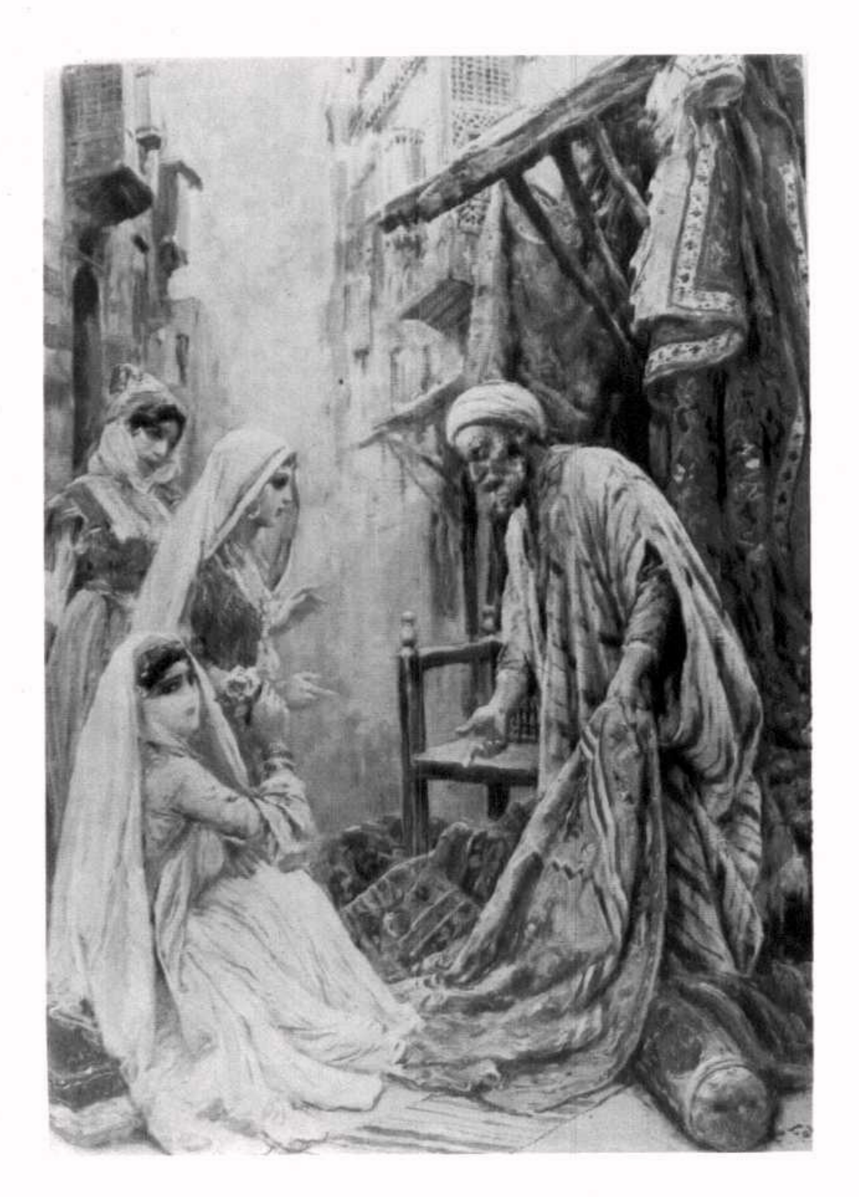
فردريك لويس : مشهد من شارع وجامع السلطان الغورى



روبرتسون: بائع السجاد



ج. ل. جيروم: بائع السجاد



فابيو فابى : الجميلات وبائع المفروشات



فرانسيسكو باليسيو: فى السوق



روبرتسون: سوق السجاد بخان الخليلى